الغضب الممدوح

عندما يتحدث الكتاب المقدّس عن موضوع الغضب، فان المنحى العام الذي يتّخذه، هو تشجيع المؤمنين والمؤمنات بالله على عدم الغضب، لأن نتائج الغضب غير مضمونة. في مقالة بعنوان: "تحكّم بغضبك قبل أن يتحكّم هو بك" ، كتب عالم نفس يدعى، تشارلي سبيلبيرغر، المتخصص في دراسة تأثير الغضب على الإنسان، قائلاً: "الغضب مشاعر انسانية، وفي الحالة الطبيعية مشاعر صحيّة. لكن عندما يخرج الغضب عن سيطرتك ليتحكم هو بك، عندها يتحول الغضب إلى حالة نفسية، لا تستطيع التكهن إلى أين تقودك، أو توقّع مدى نتائجها والأضرار التي تسبّبها على عدة أصعدة". لهذا ينصح سليمان الحكيم في العهد القديم، الانسان تجنب الغضب اذ يقول له، "لا تسرع بروحك الى الغضب، لأنّ الغضب يستقرّ في حضن الجهّال" (جامعة ٧: ٩). وينصح الرسول يعقوب، جماعة الايمان في العهد الجديد، عدم التسرّع الى الغضب، بقوله لهم: "إذا يا إخوتي الأحباء، ليكن لك إنسان مسرعا في الإستماع، مبطئا في التكلّم، مبطئا في الغضب، لأن غضب الانسان لا يصنع برّ الله" (يعقوب ١: ١٩).

إلاّ أن هناك نوعا من الغضب، هو غضب ممدوح، غضب مبرّر، غضب مقبول، يوصي به الرسول بولس، وقد مارسه يسوع المسيح، عندما كان هناك حاجة لذلك. إنه غضب المستقيمين والنزهاء ونظيفي الكفّ، الذين يغضبون من الفساد، وإذلال الناس، والدوس على كرامتهم. فإنه بسبب تراكم نتائج سوء إدارة البلاد من قبل العديد من سياسيينا لسنين عديدة، وفساد الكثيرين منهم، الأمر الذي أدى الى فقدان العملة الوطنية لقيمتها وإنهيارات على كافة الأصعد. فقد خسر الشباب مستقبلهم والمتقاعدون مدّخراتهم. لهذا نسمع يوميا عن إحتجاجات ووقفات غضب، من مختلف شرائح الوطن، رافضين هذا الوضع المأساوي، الذي وصلنا اليه. من المؤسف أنه أصبح أكثر من ٨٠٪ من الشعب اللبناني يعيش تحت خط الفقر، ويستجدون في طوابير طويلة، الخبز والماء والدواء والكهرباء والبنزين وضروريات الحياة.

يتكلّم عن هذا الغضب الممدوح والمبرّر والمشجّع عليه، الرسول بولس فيقول: "إغضبوا ولا تخطئوا. لا تغرب الشمس على غيظكم، ولا تعطوا إبليس مكانا" (أفسس٤:٢٦). لا تشير كلمة "إغضبوا" في الأصل اليوناني إلى اعطاء تعليمات لأعضاء الكنيسة كيما يغضبوا، وكأن الرسول بولس يأمر أعضاء الكنيسة بالغضب، لكن بولس يأخذ بعين الاعتبار، أنّ هناك أمورا وقضايا عادلة ومحقة، لا يجب أن نسكت عنها، بل يجب أن نعبّر عنها بغضبنا ورفضنا لها، لهذا فإن غضبنا في هذا السياق هو ممدوح.

لقد غضب الله في العهد القديم، ويسوع المسيح في العهد الجديد، عندما تواجها مع قضايا ظالمة ومظلمة، وتغييب للحق. من أكثر المشاهد التي أغضبت المسيح، الفساد الذي رآه يسوع في الهيكل، رأى تجّارا يستغلون هيكل الله، من أجل مصالحهم الشخصية. أراد الله أن يكون بيته بيت للصلاة والعبادة لكن أولئك التّجار، حرّفوه عن هدفه السامي، وحوّلوه الى مغارة لصوص. يذكر إنجيل متى، أنه عندما دخل المسيح الى الهيكل ليصلي، رأى تجّار: بقر، وغنم، وحمام كما رأى صيارفة. فطردهم قائلاً لهم: "مكتوب، بيتي بيت الصلاة يدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (متى ٢١: ١٣). أيضا يخبرنا إنجيل مرقس، عن مشهد جعل المسيح يغضب. فإنه بينما كان يسوع في المجمع يوم سبت، دخل رجل يده يابسة. فصار فريسيون يراقبون المسيح، إن كان يشفي ذلك الرجل يوم السبت، لكي يشتكوا عليه. عندها طلب يسوع من ذلك الرجل الذي يده يابسة أن يقف في الوسط. ثم سأل الفريسيين: هل يحلّ في السبت فعل الخير أو فعل الشرّ؟ تخليص نفس أو قتل؟ فسكتوا" (مرقس ٣: ٤). أدرك يسوع أنّ سكوتهم، يعني أنهم لا يكترثون لآلام الناس وأوجاعها، وهذا ما اغضبه وأحزنه. يذكر النص، "فنظر حوله إليهم بغضب حزينا على غلاظة قلوبهم" (مرقس ٣: ٥٩). لم تبال قلوب أولئك الفريسيين الغليظة والقاسية لا بشفاء الناس وإراحتها، بل كلّ همهم، هو الحفاظ على الشرائع غير الانسانية، والتي منها عدم جواز كسر الشريعة يوم السبت، حتى لو تكسّر الانسان في آلامه وأوجاعه. رفض يسوع تلك الذهنية الشرائعية التي لم تأخذ بعين الاعتبار سلامة حياة الانسان. فشفاه، قائلا: مدّ يدك. فعادت صحيحة كالأخرى" (مرقس ٣: ٥).

حيث أنّ الرسول بولس يعرف مخاطر الغضب غير المنضبط، فإنه دعا الذين يغضبون لأهداف روحية وإنسانية سامية الى التحكّم في غضبهم، ليبقى ضمن حدود الآداب المسيحية، لئلا يسمحوا لابليس أن يستغلّ غضبهم لمصلحته. وهكذا يحافظ غضبهم الممدوح على بعده المسيحي الاصلاحي، بهدف التغيير، على أن يخمض غضبهم بحلول الليل، قال، "لكي لا تغرب الشمس على غيظكم " (أفسس٤:٢٦)، ليستقبلوا صباحا جديدا يحمل تحدّيات جديدة.

القس سهيل سعود

أبدية الله هي الحاضر الأبدي

ميّز القديس أوغسطينوس، الزمن عن الابدية، لتمييز الخالق عن خليقته. قال: "لقد خلق الله الزمن، الذي هو بحكم التعريف، يسمح بالتغيير وتتابع الأمور المخلوقة. وُجد الزمن في سياق الخلق لأن الله بطبيعته لا يتغيّر ولا يخضع لتأثير الزمن، لأنه لا يمكن أن يكون أبديًا ما قد يخضع للتغيير". صلّى الى الله، قائلاً: "في سمو الابدية الدائمة في الحاضر، أنت هو قبل كل الاشياء الماضية. وتتسامى على كل الامور المستقبلية. فكل سنيك متزامنة في وقت واحد". اعتقد القديس أوغسطينوس أن الله ينظر الى الكون فيرى كل شيء في لحظة واحدة. يفهم كل ما يحدث في الزمن، في حاضر سرمدي ثابت: إن كان سيحدث في المستقبل، أو ان كان قد حدث في الماضي، لأنه ليس لدى الله سوى ما هو حاضر. فسّر أوغسطينوس أبدية الله، على انها الفهم التلقائي للماضي والحاضر والمستقبل. أبدية الله هي الحاضر الأبدي، الذي يعلو فوق الزمن. خاطب أوغسطينوس الله قائلا: "سنيك هي يوم، ويومك هو اليوم. لا يخضع يومك للغد، ولا يتبع البارحة. فيومك هو الابدية". بالرغم من تفسيرات أوغسطينوس المحدودة هذه، أقرّ قائلاً: "لا زلت أجهل ما هو الزمن. فلا يمكن قياس الزمن، ممّا لم يوجد بعد. يقلّ المستقبل عندما يتمدّد الماضي، الى أن يكتمل المستقبل وكل شيء في الماضي".

فسّر المصلح مارتن لوثر قول المرنّم: "إني اخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: "أنت ابني، أنا اليوم ولدتك" (مزمور٢: ٧)، قائلا: "يسوع الابن الازلي، الذي لا بداية ولا نهاية له، وُلد في اليوم الابدي. ولادة الابن لها وجهان: خارج الزمن أي وجه أبدي، وداخل الزمن أي في التاريخ. وفي هذا السياق، تحدث الرسول بولس عن ولادة المسيح بقوله،"ولكن لما جاء ملء الزمان، أرسل الله ابنه مولودا من امرأة مولودا تحت الناموس"(غلاطية ٤: ٤). ان معنى عبارة "ملء الزمان" هو في الوقت الصحيح المعيّن" ولد يسوع من مريم العذراء في الزمن. اعتقد لوثر، أن العقل الانساني يجد صعوبة كبيرة في فهم تجسّد الله في الزمن في ابنه يسوع المسيح، وصيرورة الكلمة جسدًا، لأن العقل لا يستطيع اقتحام الأبدية وفهمها". آمن لوثر، أن الله لا يعلن عن نفسه إلاّ من خلال أعماله وكلمته". قال:"من الجهالة، لنا أن نجادل حول الله، الذي هو خارج الزمن وقبل الزمن. فلقاؤنا مع الله الأبدي متموضع في حقائق زمنية". عرّف الحقائق الزمنية، على انها: الانجيل الموعوظ، وأسرار الكنيسة. قال، "هذه الحقائق، تخترق الله الأزلي، وتعرّفنا بجوهر طبيعته الثالوثية. قال، "إذا ما خرجنا، خارج الكتاب المقدس لنفهم الله، فإننا قد نصل الى مكان حيث: لا زمن ولا قياس ولا مساحة له، وإنما فقط العدم".

تميّز اللغة اليونانية، بَيْن نوعَيْن ومَعْنَيَيْن من الزمن الحاضر أو الوقت هما: الأول ،

Chronos) "كرونوس"، وهو الوقت العادي الروتيني الذي نصرفه في حياتنا اليومي. والثاني (Kairos("كيروس"، وهو الوَقْت المهم جداً، وَقْت الفُرَص الذهبية. وتستخدم كلمة "كيروس" للإشارة إلى الوقت المناسب، وقت الحصاد ونضوج الثمار". في رسالته الى كنيسة أفسس، يقول الرسول بولس، **"فانْظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء. مُفْتدين الوقت لأنَّ الأيام شريرة. مِن أجل ذلك لا تكونوا أغْبياء بَلْ فاهمين ما هي مشيئة الرَّب".**(أفسس ٥: ١٥-١٧)، فقد طلب بولس من اعضاء الكنيسة، أنْ ينتبهوا إلى كيفية التَّصرُّف بوقتهم، مستخدما الكلمة اليونانية "كيروس"، في قوله، "مفتدين الوقت". ان كلمة "مفتدين"، تعني أنْ نَسْتَخْلِص مِن الأيام الشريرة أطْول وَقْت مُمكن، لكي نَصْرفه بما يتناسَب ومشيئة الله. لكي لا يكون زمنهم كرونوس فيصرفونه بلا قيمة، بل يكون زمن كيروس، أي زمن الفرص الذهبية لصرفها بحكمة وتدقيق وخدمة الله.

اذ تبدأ سنة جديدة، نضع فيها آمالا جديدة لوطن أفضل، نصلّي الى الله، كيما يبارك سنينا القادمة. كما نناشد جميع القيّمين وصانعي القرارات في وطننا الجريح ، عدم الاستمرار في صرف الوقت في قرارات الكرونوس العبثية، بل استخدام الزمن القادم، كفرص كيروس ذهبية لاعادة بناء لبنان، كيما يستعيد شعبنا ووطننا عافيته، ونسترجع الوطن الحقيقي الذي نتوق اليه.

القس سهيل سعود

"إصلاح اللاجئين"

في كتابه "جان كلفن، وإصلاح اللاجئين" ، أطلق المؤرخ هايكو أوبرمان، المتخصّص في دراسة زمن الاصلاح الإنجيلي في القرن السادس عشر، على عمل جان كلفن المميّز مع لاجئي عصره، تسمية "إصلاح اللاجئين" . إبتدأ أوبرمان بتسليط الضوء على خبرة كلفن الشخصية في اللجوء، من فرنسا إلى جنيف، التي طبعت لاهوته ومواقفه وخدمته للاّجئين في جنيف. وأسمى المؤرخ عمل كلفن هذا، "بالإصلاح الثالث"، وذلك بعد "الإصلاح الأول" لمارتن لوثر في ألمانيا، "والإصلاح الثاني" لجان كلفن في جنيف. في تحليل أوبرمان لكتابات وأعمال كلفن، ذكر ما يلي: "نستطيع أن نتكلم عن اصلاح كلفن الروحي والعقائدي منذ إنضمامه إلى حركة الاصلاح الانجيلي منذ العام ١٥٣٣ وحتى العام ١٥٤٨. ولكن بعد هذه المرحلة ، والى حين موته في العام ١٥٦٤، نستطيع أن نسمّي تلك المرحلة، بمرحلة الاصلاح الثالث، أو "اصلاح اللاجئين" اذ يتعاطى كلفن بشكل أكبر مع المسائل الاجتماعية، ويضع لاهوتًا عمليًا يحاكي احتياجات تلك المرحلة ، التي تميّزت بدخول أعداد كبيرة من اللاجئين الى مدينة جنيف، حيث كان راعيا لكنائسها. يؤكد الكاتب: "أنه بالرغم من أن العقائد الأساسية للإصلاح الانجيلي، "الكتاب المقدس وحده، النعمة وحدها، والايمان وحده،" كانت أسسا مشتركة للاصلاحات الثلاثة. فإنه بينما شدّد الاصلاح الأول والثاني، أكثر على أهمية الخضوع لسلطة الكتاب المقدس، إلاّ أن الاصلاح الثالث، تمّ في ظروف مختلفة فرضت نفسها على كلفن الراعي واللاهوتي، مما دفعه لتعديل مساره اللاهوتي والرعوي، والتشديد في كتاباته وتفسيراته لأسفار الكتاب المقدس، على اختبارات وحاجات الفقراء بشكل عام ، وبشكل خاص حاجات الفقراء اللاجئين.

في كتابه، "لاهوت كلفن، في إختباره بأن يكون غريبًا"، يقول هرمان سيلدرهام، إنّ اختبار كلفن للغربة، وإيمانه بأن السماء هي موطنه الأصلي قلّل من ارتباطاته القوية بالأرض وانتج عقلية سبّاقة، لأن كلفن بقي غريبا في جنيف معظم فترة خدمته، وهو لم يحصل على الجنسية إلاّ قبل تسع سنوات من موته. لهذا، فإنه في كثير من الأحيان، كان يقرأ الكتاب المقدس، من وجهة نظر إنسان غريب لاجئ . كان كلفن يردّد: "نحن دائمًا على الطريق". ويذكّر، بأن مسكننا الحقيقي ووطننا النهائي هو، "المدينة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله" (عبرانيين ١١:١٠). استشهد المؤرّخ "أوبرمان"، بما كتبه كلفن في وصفه لإختبار الشعب العبري، في السير والتيهان في صحراء سيناء لمدة أربعين سنة، ومشاركة الله للشعب في اختبار اللجوء والحضور الدائم معهم ومرافقتهم والتنقل معهم ليلاً نهارً، وتزويدهم باحتياجاتهم. هذه الأفكار والاختبارات طبعت إلى حدّ كبير، لاهوت وكتابات جان كلفن حول، "إصلاح اللاجئين".

نظر المصلح جان كلفن إلى الحياة ، على أنها "نهر جارف" ، تقود الإنسان في مسالك وطرق لا يختارها. كما شبّه الحياة، بمجموعة متداخلة من الطرق، تضع الانسان في ضياع وتيهان، لصعوبة إيجاد الطريق الصحيح للخروج منه. أولع كلفن باستخدام هكذا صور، ليشير إلى عدم ضمانات الحياة وإحباطات التجربة البشرية. لكن كلفن يذكر، بأن الحلّ الوحيد للخروج من هذا الضياع والتيهان، لا يتحقق إلا بالايمان لأنه يعطي المعنى للحياة . نظر كلفن الى اختبارات اللجوء التي اختبرها، في ضوء أمانة الله وليس أمانته هو. كانت عقيدة سيادة الله، سبب تعزية قوية له وسط اختباراته كلاجيء. آمن أنّ عقيدة سيادة الله، لا تنفصل عن اختبارات الآلام الإنسانية، إذ وسط الألم، يستطيع الانسان المؤمن أن يختبر العناية الالهية له، بالرغم من الصعوبات والضيقات التي يمرّ بها.

للأسف، تضاف اليوم الى أزمة اللاجئين العالمية، أزمة لاجئيّ شعب أوكرانيا وكل الذين يعيشون في أماكن غير آمنة، بسبب الأزمة الروسية-الأوكرانية، إذ يترك مئات آلاف اللاجئين بيوتهم وأملاكهم وأعمالهم، ويتهجّرون مع عائلاتهم ويطلبون اللجوء ليعيشوا غرباء عن أوطانهم. من المؤلم جدا أن يدفع الشعب البريء في كل مرّة، فاتورة سياسات قادة دولهم الذين يأكلون الحصرم، وشعبهم يضرسون. لهذا، فإننا نرفع صلواتنا الى الله القدير، كيما يرحم اللاجئين ويرافقهم في صعوبات وإحباطات لجوئهم. كما نضمّ قلوبنا الى قلب كل إنسان لاجيء، مهما كانت جنسيته، ونطالب كل الدول، بتقديم يد العون اليهم لمساعدتهم وسدّ إحتياجاتهم.

القس سهيل سعود

أعيدوا سيف القضاء الى Justicia

شخّصت الميثولوجيا الرومانية القديمة القضاء، كالهة أطلق عليها اسم Justicia . واقترنت دائما، بالالهة Prudentia التي عرفت ببعد النظر ورؤية الأمور عن بعد. اعتبرت "برودنسيا" أم كل الفضائل، وهي تشخيص للفطنة واستخدام العقل لدى الحكم في المسائل. صوّرت الالهة "جوستيسيا" على أنها تضع على عينيها عصابة، ترمز الى الحكم بموضوعية كاملة في كل ما يحوّل اليها من دعاوى دون الانحياز لأحد، لأية اعتبارات كانت، سياسية أو سلطة أو منصب أو مال أو خلفية اجتماعية معيّنة. تحمل في يدها اليمنى ميزان، يرمز الى زين نقاط قوة وضعف القضية التي تنظر فيها. كما يرمز الميزان الى قياس وتقييم الدلائل والبراهين للحكم في الدعاوى المقدمة اليها، بعدالة وانصاف بناء للحقائق المكتشفة. وتحمل في يدها اليسرى السيف، الذي يرمز الى المحاسبة والاقتصاص ومعاقبة كل من تثبت جوستيسيا أنه مخطىء ومدان في قضية ما. أسّس الامبراطور طيباريوس، في ٨ كانون الثاني من العام ١٣ ق. م. معبدا للالهة Justicia في روما، وتسابق الأباطرة الرومان على وضع تماثيل لها، ليعلنوا أنفسهم حماة القضاء والعدالة في أوطانهم.

عندما عيّن ملك مملكة يهوذا يهوشافاط، قضاة للقضاء بين نزاعات الشعب، قال لهم: "أنظروا ما أنتم تفعلون. لأنك لا تقضّون للإنسان، بل للرب. هو معكم في أمر القضاء. والآن لتكن هيبة الرب عليكم. إحذروا وافعلوا، لأنه ليس عند الرب إلهنا: ظلم ولا محاباة ولا إرتشاء" (أخبار الأيام الثاني١٩: ٦-٧).

يخبرنا النبي أيوب الذي تعرّض لآلام وأوجاع ومصائب كثيرة حتى ضرب به المثل، أنه قبل خسارة عائلته وأملاكه، كان يعيش في أوساط قضائية فاسدة، اذ كان النافذون والمتسلّطون يظلمون الفقراء بأحكامهم المعوجّة. الاّ أنه اختار أن يناصر قضايا الفقراء المظلومين، ويساعدهم في دعواهم. ما كان يفعله النبي أيوب، أنه كان يدرس ويتفحّص جيدا كل دعوى لفقير كيما يعرف مواطن الاجحاف والظلم الذي لحقه، وهكذا يمكنه الدفاع عنهم جيدا وانصافهم في المحاكم لربح دعواهم. وصف النبي أيوب نفسه انه أب للفقراء والمظلومين. قال، "أب أنا للفقراء، ودعوى لم أعرفها فحصت عنها" (أيوب ٢٩: ١٦).

اذ تقترب ذكرى ٤ آب المشؤوم الذي حصلت فيه جريمة المرفأ المدوّية التي هزّت قلوب وضمائر العالم، بالانفجار الهيروشيمي الذي تسبّب بمقتل أكثر من مئتي ضحية وجرح أكثر من ٥٠٠٠ مواطن، وخسارة الناس لأولادهم وممتلكاتهم، وتدمير نصف مدينة بيروت الحبيبة. فان أهالي ضحايا ٤ آب، لا زالوا يتوقعون معرفة الحقيقة، وينتظرون بفارغ الصبر نتائج تحقيقاتJusticia . الاّ انه للأسف لم تصدر أية معلومات حتى الآن، تخفّف قليلا من حسرتهم، وتهدّىء من روعهم. وانما بدلا من وقوف مؤسسات الدولة الى جانبهم، فاننا راينا أنهم قد تعرّضوا للاساءة والاهانة منذ أسبوع. قال أحد المفكّرين، "للأسف صرنا في زمن، أصبح فيه للمجرم حقوق، أكثر من الضحية". يقول المصلح الانجيلي مارتن لوثر "انّ أسمى وأصعب فضيلة لدى الحكّام والقضاة، هو القضاء بالحق، لأنه من السهل اصدار الأحكام على الفقراء وعامة الشعب. لكن اصدار الأحكام بالحق على الأقوياء والنافذين والأثرياء والأصدقاء لهو أمر بالغ الصعوبة". أضاف لوثر، "القضاء بموضوعية وتجرّد دون الأخذ بعين الاعتبار رابط الدم وموقع الشرف والمصلحة الشخصية والربح المادي والمحسوبية، والحكم دون خوف، انما هو فضيلة الهية".

للأسف ان ما يحاول أن يقوم به مسؤولينا غير المسؤولين، أنهم يحاولون منع جوستيسيا القضاء في بلدنا من القيام بعمله، وهذا تجسّد بوضوح برفض بعض الجهات المسؤولة في الدولة، رفع الحصانات عن كل من ادّعى ويدّعي عليهم القاضي بيطار. ان ما يحاولون، أن يفعلوه هو نزع العصابة عن عينيّ جوستيسيا، لكي لا تحكم بموضوعية، بل تنحاز في حكمها للسياسيين الفاسدين وذوي النفوذ. ما يقومون به، أنهم يخطفون الميزان من يدها، لكي لا تستطيع زين الدلائل والبراهين بميزان العدالة. يحاول سياسيونا الفاسدين، بشتّى الوسائل أن يضيّعوا الحقيقة، لأن الحقيقة تخيفهم وترعبهم وتقضّ مضجاعهم، الحقيقة تكشف اهمالهم وعدم مبالاتهم في متابعة قضية بهذه الخطورة، دخول مواد متفجّرة، فجّرت بيروت ومعها فجّرت حياة الكثيرين. يتكاتف سياسيو السلطة الفاسدة التي سبّبت هذه الآلام لمواطنيها، معا لكي ينزعوا سيف العدالة من يد جوستيسيا، كيما يهربوا من قصاص العدالة والحقيقة الذي يقتصّ من المجرمين والمقصّرين وكل من تسبّب بتلك المجزرة الوحشية .

لهذا فاننا مع كل اللبنانيين واللبنانيات الشرفاء، نقول لكم: "أعيدوا سيف العدالة الى Justicia"، كيما تحكم بالعدل، وتسطع شمس الحق. نحن نشدّ على يد القاضي بيطار في مسعاه للقضاء بالحق. فالقضاء بالحق يحتاج الى أناس أقوياء. امنح اللهم القوة لأهالي ضحايا ٤ آب ، رافقهم بحضورك، وعزّهم بمصابهم الأليم، ورافق وطننا الجريح لبنان في مسيرته نحو الحق.

القس سهيل سعود

ألا يستحقّ الأب عيدا أيضا؟

بدأ الاحتفال بعيد الأم منذ سنين عديدة، أذ كتبت الأشعار للأم وتغنّى بها الشعراء والأدباء، بأجمل القصائد المفعمة بالمحبة والعاطفة والتقدير، إكراما لمحبتها المتفانية وتضحياتها التي لا حدود لها، ودورها المميّز في تنشئة العائلة المتزنة. مما لا شك فيه أنّ أمهاتنا يستحقنّ هذا الإكرام والتقدير، لكن ألا يستحق الآباء أيضا عيدا وتكريما لهم، لا سيما في هذا الزمن الصعب الذي نعيش فيه في وطننا الجريح لبنان؟

مع الإقرار بالدور الأساسي الذي تلعبه الأم في العائلة، لا يمكن إهمال دور الأب الذي هو أساسي أيضاً. إن أول من فكر بتكريم الأب وتخصيص يوم له، كانت الفتاة الأميركية "سونورا سمارت دود". حين كانت في الكنيسة تسمع عظة بمناسبة عيد الأم في العام ١٩٠٩، فكّرت بأن أمها ماتت منذ طفولتها وتذكَّرت أباها الذي كرّس حياته ووقته في تربيتها مع خمسة أخوة وأخوات لها، فتساءلت ألا يستحق أبي والآباء التكريم؟ وبما أنَّ فكرتها لاقت آذانا صاغية، فقد أقيم أول احتفال بعيد الأب في ١٩ حزيران ١٩١٠.

أجرت إحدى المؤسَّسات الاجتماعية المختصة، دراسة على أولاد عاشوا بدون أب، فتبيَّن لها أنَّه في مرحلة الطفولة، أي قبل بلوغ الخمس سنوات، أثّر غياب الأب على نفسية الأطفال ونموهم الاجتماعي، إذ صاروا أكثر سلبية وعدائية وأقل تنظيمًا. إلاَّ أنهم تخطَّوا هذه المرحلة عندما كبروا واحتضنتهم الأم. كما أن دراسات أخرى أظهرت أنه عندما يصرف الأب وقتًا كافيًا مع أولاده، فإن تعلُّقهم به لا يقلّ عن تعلقهم بأمهم. وبالتالي، إذا أردنا عائلة سليمة متماسكة نفسياً وروحياً، فنحن بحاجة إلى تعاون قُطبي العائلة الأب والأم ليعملوا معاً جنباً إلى جنب.

تذكر الوصية الخامسة من الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسى، لتكون العهد القديم للحياة والسلوك بين الله والشعب: "أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض" (خروج ٢٠: ١٢). فإكرام الأب والأم هي وصيّة إلهية قديمة. ويخبرنا البشّير متى ، أن المسيح وجّه انتقاداً لاذعاً إلى الكتبة والفريسيين لأنهم انتقدوا بقسوة تلاميذه لعدم غسل أيديهم قبل الأكل، مع أن هذا الترتيب يخضع لتقليد الشيوخ، وتساهلوا في موضوع تطبيق وصية الله الخامسة بإكرام الأب والأم، بتقديم مبررات من تقليدهم حول النذور والقرابين تسمح للأولاد بالتهرُّب من إكرام أهلهم. (متى١٥: ١-٩).

إن أعظم صورة للأب إستخدمها المسيح في المثل الذي نسميه مثل "الابن الضال"، والذي يجب أن نسميه مثل "الأب المحب" (لوقا ١٥ : ١١-٣١) في هذا المثل يبرز الله كأب حنون محب، غافر لا يفرحه شيء إلاّ عودة ابنه إليه. ففي تفاصيل المثل يخبرنا البشّير لوقا، أنه بعد أن قرر الابن العودة إلى أبيه والاعتراف له بخطاياه وتوجّه باتجاه البيت، فإنه عندما رآه أبوه قادمًا نحوه، فإنه فكّر فقط في نوعية العلاقة الأبوية التي تربطه به. استخدم إنجيل لوقا كلمات مليئة بالحنان والعطف والمشاعر الجيّاشة ليصف شعور الآب، فذكر قائلا: "واذ كان لم يزل بعيدا، رآه أبوه، فتحنن... وركض... ووقع على عنقه... وقبّله..." (لوقا ١٥ : ٢٠). لقد كان مشهداً درامياً يصعب وصفه. عند اعتراف الابن بخطاياه وطلبه الغفران من أبيه، كان لدى الابن طلباً آخر، هو أنْ يرجع إلى البيت كأجير وكعبد "اجعلني كأحد أجراك" (لوقا ١٥: ١٩). لكن الأب رفض هذا الطلب وأصرّ على معاملته كابن.

يتحمل الآباء في وطننا الجريح لبنان لا سيما في هذ الأيام الفائقة الصعوبة، ضغوطات كبيرة جدا لكي يحافظون على مسؤولياتهم ودورهم كآباء. إنها ضغوطات تأمين الحليب لأطفالهم، وكافة إحتياجاتهم. تصوّروا مشاعر أولئك الآباء الذين سمعنا وقرانا عنهم، إذ رأوا أطفالهم يتعرضون للموت أمام أعينهم بسبب فقدان أو نقص الأدوية والأغذية، أو أنهم أحرقوا أنفسهم، لعدم قدرتهم على تأمين أي شيء لأولادهم، أو أولئك الآباء الذين إضطروا لإخراج أولادهم من المدارس والجامعات لعدم قدرتهم على تأمين أقساطهم. نعم يستحق آباؤنا اللبنانيون عيدا أيضا لهم. إنهم يستحقون تكريمنا وتقديرنا لهم، وصلواتنا لأجلهم.

القس سهيل سعود

"الأمومة: المهنة الثانية الأقدم"

في سنة ١٩١٠ تساءلت فتاة اسمها آنّا جارفس: "ماذا أستطيع أن أفعل لأكرم أمّي التي ضحّت لأجلي"، فكانت تلك الفتاة أول من فكّر في إكرام أمّها، وأضحى الجواب منذ ذلك الوقت وحتّى اليوم عيدًا من أعظم الأعياد هو عيد الأم. قال الكاتب الفرنسي "فيكتور هوغو": إنَّ حُبّ الأمّ لا ينساه أحد. هو غذاء بديع يوزعه الله وينميه، لكل واحد جزء منه. وكله لهم جميعاً. أما الكاتب اللبناني "جبران خليل جبران" فقد تغنَّى في الأمّ قائلا عنها: إن أعذب ما تنطق به الألسن هو لفظة الأمّ. وأجمل مناداة في الوجود هي يا أميّ. إنها كلمة صغيرة مملوءة بالأمل والحب والعطف. الأمّ هي كلّ شيء في هذه الحياة. هي التعزية في الحزن، والرجاء في اليأس، والقوة في الضعف، هي ينبوع الحنان والرأفة. فالذي يفقد أمّه يفقد صدرًا يسند إليه رأسه، ويدًا تباركه، وعينًا تحرسه". كما قيل: "إنّ أقرَب قلب إلى الله، هو قلب الأمّ. فهو قلبٌ يحبّ أولاده بلا حدود ولا قيود، فهو يُشبه قلب الله".

في كتابها، "الأمومة: المهنة الثانية الأقدم"، للكاتبة، ايرما بومبك. تروي الكاتبة ، بروح من الفكاهة، خرافة اختلقتها، لتعبّر عن تقديرها الكبير لعمل الأمومة والأمهات. إن موضوع روايتها، كيفية خلق الله للأم والامكانات الهائلة، التي وضعها فيها، لتهتم بعائلتها وأولادها. مما جاء في روايتها، "عندما خلق الله الأمّ، فإنه عمل عملاً إضافيًا لوقت طويل". في حوار بين الله والملاك، تذكر الكاتبة، "بينما كان الله يخلق الأمّ، نظر إليه الملاك وقال: لماذا تصرف وقتًا طويلاً في خلق الأمّ. فأجاب الله: هل قرأت مواصفات الأمّ؟ إنها عديدة. على قبلة الأمّ، أن تشفي كلّ شيء، من الرِجل المكسورة، إلى القلب المكسور. يجب أن يكون للأمّ ستة أجواز من اليدين، للمهام الكثيرة التي تقوم بها. استغرب الملاك، وقال: ستة أجواز! لكن هذا مستحيل. أكمل الله قائلاً، ليس فقط ستة أجواز من اليدين، وانما أيضًا ثلاثة أجواز من العيون: جوزُ لرؤية ما وراء الأبواب المغلقة، حتى إذا سألت الأمّ أولادها، ماذا تفعلون؟ تعرف مسبقًا الجواب. جوزُ خلف رأسها، لرؤية ما يجب أن لا تراه، لكنّها تراه. وجوزُ في رأسها، كيما تستطيع أن تعتني بأطفالها، وتتفهّمهم من دون أن ينطقوا بكلمة. عندها، قال الملاك، هذا كثير. لا تستطيع، أن تضع كل هذه المواصفات في نموذج واحد. لماذا لا ترتاح اليوم وتستأنف عملك في الغد؟ لا، أجاب الله. أنا على وشك أن أخلق شخص يُشبهني. أعددت نموذجًا عن الأمّ التي تستطيع أن تشفي نفسها، عندما تكون مريضة. تستطيع أن تطعم عائلة من كمية قليلة من الطعام. تستطيع أن تقنع ولدًا ابن تسع سنوات أن يستحمّ. ثم نظر الملاك إلى المرأة، التي خلقها الله، فقال، إنها ناعمة كثيرًا. قاطعه الله: لكنّها أيضًا قديرة وصلبة جدا. سوف تتفاجيء كم تستطيع الأمّ أن تفعل. ثم لمس الملاك خدّ الأم المخلوقة، فوجد رطوبة على خدّها. فقال الملاك ، لكن خدّها يرشح. أجاب الله: لا. هذه ليست رطوبة. هذه دمعة. قال الملاك، لما الدمعة؟ أجاب الله: هي دمعة للحزن. دمعة للألم ولخيبة الأمل. هي دمعة للبهجة للفرح. عندها، هتف الملاك، حقًا يا الله (سبحانه وتعالى) إنك عبقري!

يحلّ عيد الأم هذه السنة، وأمهاتنا في لبنان يشعرنّ بالغصة والحزن والألم، بسبب ما آلت إليه الأمور في هذا الوطن المعذّب. بأي حال عدت يا عيد؟ ماذ نقول لأمهات وطننا لبنان في عيدهنّ؟ ماذ نقول للأمهات اللواتي فقدن أولادهن في إنفجار ٤ آب المشؤوم في المرفأ، ولا زالت التحقيقات متوقّفة لمعرفة من المسؤول عن تفجير أولادهن؟ ماذا نقول للأمهات اللواتي يمتن أو يموت أولادهنّ بسبب فقدان الأدوية والمواد الضرورية؟ ماذ نقول ونقول ونقول؟ في هذه الأيام الصعبة، تستحقّ أمهاتنا، كل إهتمامنا وتقديرنا ومحبتنا واحتضاننا، علّنا نخفّف قليلا من آلامهنّ.

عندما كان يسوع المسيح معلّقا على الصليب. وبالرغم من أنه من طبيعة الألم أنه يغرق المتألم في نفسه، فلا يعود قادرًا على التفكير في غيره. نظر يسوع من على الصليب، فرأى أمه تبكي ألما وحزنا عليه. عندها طلب من تلميذه الحبيب يوحنا الذي كان بجانبها، أن يحتضن أمه ويهتم بها وبتفاصيل حياتها، ويأخذها إلى بيته ويعاملها كأمه. يقول إنجيل يوحنا، "فلّما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفًا، قال للتلميذ: هوذا أمك. وقال لها: هوذا إبنك. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته" (يوحنا ١٩: ٢٦و٢٧).

كل عيد وأمهات وطننا بألف خير

القس سهيل سعود

"الايمان والشهادة على الحدود"
ديتريش بونهوفر

من البصمات التي تركها اللاهوتي الألماني ديتريش بونهوفر، لاهوته حول: "الايمان والشهادة للمسيح على الحدود"، إن كان في الكنيسة أو في المجتمع. دعا بونهوفر، الى اكتشاف الحدود التي يرسمها الايمان في خضم انتشار العديد من الايديولوجيات والثقافات التي تشوّش على الايمان المسيحي، وتغبّش الحدود. عرّف الحدود بتعريفات متنوّعة، منها: "المسيح هو حدود الوجود الانساني. النفس هي الحدود التي من خلالها يواجهنا المسيح. الخطية هي التعدّي على الحدود المؤسسة من قبل الوصايا العشر. رأى بونهوفر، أنه غالبًا ما تكون الحدود غامضة، وعيش الايمان يتطلّب قراءة علامات الازمنة.

حول كيفية تمييز الحدود، ربط بونهوفر، بين الحدود والمحور، لأنهما ينتميان الى بعضهما البعض. قال،"لأن الحدود تتحرّك وتتغيّر بشكل دائم، لهذا من الضروري لنا أيضا معرفة المحور، بشكل دائم لنستطيع تمييز الحدود كيما تكون استجاباتنا مع ظروف حياتنا مناسبة ونبوية، للحفاظ على شهادتنا المسيحية في السياق الذي نعيش فيه". وأضاف، "كلما استطعنا أن نميّز الحدود التي نؤسّسها ونخدم ضمنها في حياتنا وشهادتنا، كلما عكسنا حضور يسوع المسيح فينا، بشكل فاعل ومثمر".

آمن بونهوفر، أن يسوع المسيح، هو محور: التاريخ، والواقع، والطبيعة، والكنيسة، والحياة الانسانية، والسياسة. قال، "نعرّف هويتنا بالمسيح، وليس بجنسيتنا أو انتماءنا الحضاري أو الديني. وتتأسّس وتتوضّح حدود الايمان والشهادة، عندما يفكّر الانسان في سؤال من هو يسوع المسيح بالنسبة له، في السياق المحدّد الذي يعيش فيه. وعليه، عندما يكون المسيح هو المحور، فانه هو الذي يرسم للانسان المسيحي الحدود. وبعمله هذا، فإنه يتحدّى بل يتجاوز الحدود التي نؤسّس فيها لنا، مناطق آمنة ومريحة في الكنيسة والمجتمع وحياتنا اليومية". حذّر بونهوفر، أولئك الذين يضعون نصب أعينهم، مجرّد السعي نحو حياة الرخاء والراحة، قائلا لهم: "عليكم أن تدركوا أن الله لا يلاقينا في أماكن مريحة نحجزها لأنفسنا، لكنه يلاقينا في خضم واقعنا مهما كان صعبا".

آمن بونهوفر، أن الآخر هو الحدود لوجودنا. قال، "يرسم الآخر لنا، حدودا لا نتجرّأ على تجاوزها، لأنه يتطلب احترامنا لكونه انسانا مثلنا، لديه نفس الحاجات والمخاوف والآمال. وهكذا، فان الحدود تمنعنا من استغلال الآخر". رأى بونهوفر، أنه من ناحية، ربما تمثّل حدود الاخر تهديدا لنا، بحيث أن استجابتنا قد تكون تدميرية، وتؤسّس جدارًا من الانقسامات. ومن ناحية اخرى، قد تكون حدود الآخر ، فرصة لنا تحمل تغييرًا حقيقيا في حياتنا ومجتمعنا، هذا اذا ما عرفنا كيف نميّز تلك الحدود، ونعبر نحو الآخر. رفض بونهوفر استثناء الآخر من وجودنا معه، قائلا: "أن نستثني الآخر يعني أن نبني جدرانا وعوائق بيننا وبينه. وفي الوقت نفسه، يعني أن ننكر من هو يسوع المسيح بالنسبة لنا، لأن الله عمل في يسوع المسيح، على ازالة العزلة الانسانية".

آمن بونهوفر، أنه عندما نعلن الانجيل ووصايا الله، تقف الكنيسة على الحدود، حيث يلتقي السموّ الالهي بالامكانيات الانسانية في العالم. قال، "كلما اعترفنا أكثر بأن المسيح هو ربنا، كلما زالت الحدود الزائفة التي نحن نضعها، لتحلّ محلها الحدود الحقيقية التي يرسمها المسيح". وأضاف، "لا نجد السمو الحقيقي في مكان ما وراء العالم، لكننا نجده في المسيح، الذي أطلق عليه تسمية "الانسان للآخرين".

القس سهيل سعود

الحلم الذي أنقذ إصلاح مارتن لوثر

يحتفل العالم الانجيلي في الذكرى الخمسمئة وخمس سنوات على انطلاقة حركة الاصلاح في ٣١ تشرين الأول من العام ١٥١٧، حين علّق المصلح مارتن لوثر على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ خمسة وتسعين بندا، هي برنامج عمل لاصلاح الكنيسة. تتحدّث الأدبيات الانجيلية، عن قصة غير معروفة، حول حلم حلمه الأمير فريديك السكسوني الذي قدّم الحماية للمصلح مارتن لوثر، الأمر الذي مكّنه من اكمال حركة الاصلاح بالرغم من الصعوبات البالغة التي واجهته. كان هذا الحلم قبل ليلة، من تعليق مارتن لوثر بنوده الاصلاحية في ويتنبرغ. فما هو فحوى هذا الحلم؟

بدأ المصلح مارتن لوثر إصلاحه، بعد أن تأثّر كثيرًا بعمل مصلح كان قد سبقه هو يان هاس، الذي عاش بين الأعوام ١٣٦٩-١٤١٥ في هوسينك في بوهيميا- تشيكوسلوفاكيا. أخذ يان هاس، اسمه من بلدته هوسينك، وكلمة "هاس" تعني باللغة البوهيمية "بطّة". رُسِمَ يان هسّ كاهنًا، وخدم كنيسة بيت لحم في بوهيميا عام ١٤٠٢. ثم بدأ بنشر أفكاره الاصلاحية، بعد أن لاحظ وجود أخطاء في التعليم والممارسات في الكنيسة. كتب المصلح هسّ ستة بنود، أسماها "ستة أخطاء"، وعلّقها على باب كنيسة بيت لحم. وهكذا، صار يان هاس يعظ عن ضرورة العودة الى الكتاب المقدس والتوبة، ويكتب كتبا عن ضرورة الاصلاح. وقد لقيت مواعظه إقبالاً شديدًا، فصار يعرف أتباعه بالهسّيين، أي أتباع هاس. عندما أمرت السلطات الكنسية ببيع صكوك الغفران في براك، دان هاسّ هذه الممارسة. فكانت ردة فعل السلطات الكنيسة احراق كتبه، ووقف تعاليمه والقبض عليه. فهرب من بلاده، كتب في المنفى أهم كتبه، التي أعلن فيها أن الكنيسة مؤسّسة على شخص يسوع المسيح، وليس على شخص الرسول بطرس. على أثر ذلك، حرم هاسّ من شركة الكنيسة عام ١٤١٢. وعندما أُلقِيَ القبض عليه، طُلِبَ منه انكار كتاباته، فأجاب: "اني مستعدّ لإنكارها، إذا ما أثبتّم خطأها إستنادًا الى الكتاب المقدس". أُعطِيَ فرصًا عديدة للتراجع عن كتاباته، لكنه رفض، متمسكا بالحقيقة التي وجدها في الكتاب المقدس. وأثناء اعدامه عام ١٤١٥، نطق بقول اعتبره بعض المؤرخين بمثابة نبوءة عن اصلاح مارتن لوثر الذي تحقّق لاحقا بعد حوالي قرن. تتحدّث الأدبيات عن عدة روايات، أهمها، أنه عندما قال الجلادون عنه أثناء اعدامه: "سوف نطهو الان هذه البطة أي "هاس". أجاب: "نعم، لكن سوف يأتي بعدي طير البجع، الذي لن تستطيعوا، أن تطهوه أو تشووه أو تنالوا منه ".

بعد مئة وسنتين أي عام ١٥١٧، علّق المصلح مارتن لوثر الذي تأثر كثيرًا بالمصلح يان هس، ليس ستة بنود أخطاء على باب كنيسة بيت لحم، وإنما خمسة وتسعين بندًا. تكمّل رواية حلم الأمير فريدريك السكسوني، أنه أخبر أخيه عن الحلم قائلا له، "حلمت أن الله القدير أرسل لي راهبا، الذي كان إبنًا حقيقيًا للرسول بولس. رافقه كل القديسين بتعليمات من الله، كيما يشهد أمامه ويعلن بأنه لم يأتِ ليقوم بمؤامرة ما، بل أنّ كل ما يقوم به هو بناء لإرادة الله. وقد طلب مني أن أسمح له، أن يكتب شيئًا على باب كنيسة جامعة ويتنبرغ. وكان قلمه طويلاً جدًا، حتى بلغ روما، واخترق أذنيّ أسد كان يربض هناك. فاهتّز التاج الموضوع على رأس البابا. فأسرع الكرادلة والأمراء الى البابا، محاولين منع وقوع التاج عن رأسه". أكمل الأمير قائلا، "لقد رغبت، أنا وأنت يا أخي، أن نساعد أيضًا في ذلك. مددت يدي نحو التاج. عندها صحوت ووجدت يديّ ممتدة في الهواء. كنت مغتاظًا من الراهب لأنه لم يستطع التحكّم بقلمه. بعدها عدت الى نفسي وأدركت أنه مجرّد حلم. لكن ما أن عدت الى النوم، حتى عاد الحلم ثانية. فالأسد الذي إنزعج من القلم الذي اخترق أذنيه، أصبح يزأر بكل قوته، حتى أسرعت كل مدينة روما لترى ماذا يحدث. فطلب البابا مني مقاومة ذلك الراهب، كونه كان ضمن حدود مملكتي. ثمّ بعدها ركض كل أمراء الإمبراطورية، وأنا منهم الى روما. حاولنا أن نكسر ذلك القلم. ولكن كلّما حاولنا أكثر أن نكسره، كلّما كانت تشتدّ قوة القلم أكثر فأكثر، وكأنه مصنوع من حديد. ثم سألت الراهب: من أين أتيت بهذا القلم؟ ولماذا هو بهذه القوة؟ فأجاب القلم: "أنا أنتمي الى سلالة تلك البطة القديمة في بوهيميا، وعمري مئة سنة. وأستمدّ قوتي، من قوة مضمونه"، الأمر الذي أذهلني أنا أيضًا. وفجأة، سمعت ضجة قوية. اذ أن عددا كبيرا من الأقلام خرجت من قلم ذلك الراهب. وعندما استيقظت، كانت الشمس قد أشرقت".

تكمّل الرواية، "أن ذلك الحلم، الذي حلمه الأمير فريدريك السكسوني، في الليلة التي سبقت، تعليق الـ خمسة والتسعين بندًا، لم يفهمه في ذلك الوقت. لكن توضّح له لاحقا، والذي هو: أنّ قلم يان هسّ، أشار الى الحقائق المقدسة التي كتبها في كتاباته، والتي قرأها مارتن لوثر، وتأثر بها واتبع أسلوبه في تنفيذ برنامجه الاصلاحي. يعلّق مؤرّخون، أنه يبدو أن هذا الحلم، أثّر كثيرًا على الأمير فريدريك، مما دفعه الى تأمين الحماية لمارتن لوثر، وانقاذه من قبضة السلطات الكنسية والزمنية، التي كانت تطارده. وهكذا بفضل عناية الله وحماية الأمير، فان "بطة بوهييما" يان هسّ، الذي تنبأ لجلاّديه، منذ أكثر من مئة سنة قبل بدء الاصلاح، جعلت من مارتن لوثر، طير البجع، الذي لم تتمكّن السلطات الكنسية والزمنية من طهيه وشوائه.

القس سهيل سعود

الديناميكية المسيحية للخدمة تتجاوز الشرائعية

يقول اللاهوتي ديتريش بونهوفر، "إن معرفة التمييز بين الخير والشر، هو الهدف من كل الاهتمامات الأخلاقية، إلاّ أنّ المهمة الأساسية للأخلاقية المسيحية، هي تجاوز تلك المعرفة". آمن بونهوفر، أن الايمان المسيحي يحثّنا على القيام بأفعال أخلاقية وأعمال خيرية، تتجاوز الحدود الشرائعية، وتجعلنا منفتحين نحو الآخر المحتاج، ومسؤولين أمام ما نراه. رفض بونهوفر، أن تكون مواقف المسيحيين وتصرفاتهم وأفعالهم الأخلاقية، محصورة بمجرّد تطبيق القوانين والأنظمة، لصالح اعتبار الأمر، مسؤولية روحية تجاه الآخرين لا سيما المتألّمين. اعتقد أن الكتاب المقدس، يقدّم حقائق سامية بطرق ايجابية بسيطة غير معقّدة، نستطيع أن نستلهم منها أسلوب تصرفنا مع الآخر.

في عظته، بمناسبة "أحد الثالوث"، تحدّث بونهوفر عن سرّ الإله المثلّث الأقانيم، بالمقارنة مع سرّ الانسان. مما جاء فيها، "أن سرّ الانسان الآخر يصبح أعظم، كلما كان ذلك الآخر أقرب الينا. وإذ ما التقينا به وجهًا لوجه، فان ذلك الآخر البعيد، يصبح قريبا منا، بل يواجهنا بمطلب اخلاقي وشخصي لا يمكننا الهروب منه، لأنه يتحدّانا في عمق هويتنا وادعائاتنا كانسانيين". حدّد بونهوفر نوعية مسيحيتنا، بكيفية تجاوبنا مع حاجات ذلك الآخر المحتاج. قال، "ان كيفية ونوعية تجاوبنا مع هذا الآخر القريب، هو الذي يحدّد هويتنا ونوعية الجماعة التي ننتمي اليها".

اما المصلح مارتن لوثر فقال، "الايمان، يجعل الفهم يتواضع أمام الحقائق الالهية، بل يجعله يتجاوز ويحبط فهمنا الانساني. وفي الوقت نفسه، يحثّنا الايمان على نوع آخر من الاستجابة، لحاجات الآخر التي أمامنا". يضيف "اذا ما عمل الله فينا، فالارادة تتغيّر، وتنسّم روحه علينا، فنتجاوب مع حاجات الناس باستعداد صادق، لا كأننا مجبرين وانما برغبة وفرح ومحبة". وفي كتابه، "عبودية الارادة"، يقول لوثر، "أن الله يحبط التمجيد الذاتي لقوانا وقدراتنا الانسانية، فيصبح الصلاح متاحًا عندما يتخلّى الانسان عن ادعاءاته، بأنه يتحكّم بمفاصل الأمور في الحياة، ويتغيّر بفضل عمل المحبة الالهية، التي تغيّر ارادتنا لنخضع الكل، الى ما هو للمسيح". يتابع قائلا ، "تمنح الارادة المتغيّرة بفضل محبة ونعمة المسيح، نوعًا جديدًا من الفهم لا يستند على الشرائع والقوانين الاخلاقية، لكن يستند الى نوع جديد من التبريرات والدوافع، التي هي دوافع الايمان التي تدفعنا للاستجابة مع حاجات الآخرين، لأن ارادة المسيح أن نخدم القريب المحتاج".

وصف مارتن لوثر هذه الديناميكية المسيحية لخدمة الآخر المحتاج، بتصوّره للمسيح يخاطبنا قائلا: "لا أختار أن آتي اليكم في جلالي وفي رفقة الملائكة، وانما في هيئة متسوّل فقير يستجدي الطعام". ويضيف، "يمكن أن تسألوا، كيف نستطيع أن نعرف هذا؟ يجيب المسيح: لقد أعلنت لكم في كلمتي بأي شكل آتي اليكم. ولمن يجب أن تقدّموا المساعدة. ليس عليكم أن تصعدوا الى السماء، حيث أنا جالس عن يمين أبي السماوي، لكي تقدّموا لي شيئًا. اني آتي اليكم في تواضع. أضع جسدًا ودمًا أمام أبواب بيوتكم، يقولون لكم: أعطوني لأشرب. اني لا أحتاج طعاما في السماء، لكني أعلنت للعالم اجمع، أنه مهما فعلتم بأحد اخوتي هؤلاء الأصاغر، فبي قد فعلتم" (متى٢٥: ٤).

في هذا الزمن الرديء، الذي يشهد فيه اللبنانيون انهيار قطاع الخدمات بفضل الادارة الفاشلة منذ عقود لمقدّرات الدولة، وانهيار قيمة العملة اللبنانية، وازدياد الحاجة، وتحوّل حوالي ٧٤٪ من اللبنانيين الى فقراء، تأتي هذه الديناميكية المسيحية للخدمة، لتذكّرنا أن خدمة الآخر المحتاج، لا تنتظر شرائع وقوانين، بل تستند الى نوع جديد من الدوافع هي دوافع الايمان، التي تواجهنا بمطلب اخلاقي لا يمكننا الهروب منه، كونه يتحدّانا في عمق هويتنا، وتدفعنا للتجاوب مع حاجات الناس الفقراء، لا كأننا مجبرين وانما برغبة وفرح ومحبة. يا رب ارحم شعبنا اللبناني المفتقر، واحفظ وطننا الجريح لبنان.

القس سهيل سعود

الرياء المقذّذ

يعيش الشعب اللبناني في هذه الأيام في واد، والطبقة الحاكمة في واد آخر. في الوقت الذي يعاني فيه، الأكثرية المطلقة من اللبنانيين واللبنانيات من القلّة والضيقة والذلّ واليأس والاحباط، نرى الأكثرية المطلقة من أفراد الطبقة الحاكمة، تعيش في وفرة وبحبوحة وبهجة، غير آبهة بآلام الناس، مع أنهم بحكم التعريف، مسؤولون عن رعايتهم. الاّ أن الأمر، المؤلم جدا هو الكمّ الكبير من الرياء المقزّز الذي نسمعه في تصريحات معظم المسؤولين التي لا قيمة لها، اذ نسمع جعجعة ولا نرى طحينا. كما أن الوعود الفارغة التي يعدون بها الشعب اللبناني المسكين، لا تقدّم شيئا سوى أنها تزيد من يأس واحباط ووجع الناس. وقد طالعنا المجلس النيابي في اجتماعه الأخير لانتخاب رئيس للجمهورية، بمسرحية قد تكون أقرب الى الهزلية، منها الى النظام الديمقراطي، وهي تعكس حقيقة التخبّط الذي يعيش فيه حكّام البلاد. ألم يدرك المسؤولون قادة البلاد بعد، أن اللبنانيين واللبنانيات، فقدوا كامل ثقتهم بكلام معظم أفراد الطبقة السياسية الفاسدة والمفسدة وراعية الفساد. كفى رياء. نريد وطنا نفخر به أمام العالم. ونريد قادة يستحقهم شعبنا اللبناني المعذّب.

تعني كلمة "رياء" باللغة العامية، "التمثيل على الناس، والكذب عليهم وخداعهم". استخدمت كلمة "رياء" في اللغات القديمة، كمصطلح تقني يطلق على الممثّل على المسرح، ولم تعتبر الكلمة تليق بأن تطلق على شخصية معتبرة. قال الفيلسوف الانكليزي جيلبرت رايل، "أن تكون مراء يعني أن تظهر وكأنك تعمل بدافع وهدف، ليس هو لا دافعك ولا هدفك الحقيقي". الرياء هو التصرف والتكلم بحسب توقعات الاخرين، وليس بحسب قناعات الانسان الداخلية. الرياء هو عدم التطابق بين الظاهر والباطن، بين كيفية الظهور أمام الناس في الكلام والتصرّف، وبين الحقيقة الساطعة. "الرياء"، هو إدّعاء مقياس أخلاقي لا يلتزم فيه المدّعي، أو الفشل في الالتزام بالمبادىء التي أعلن عنها المدّعي". الرياء، هو تخبئة الحقيقة، لاظهار وجه مزيّف غير حقيقي، اذ يريد المراؤون أن يظهروا حملانا، لكنهم من الداخل ذئاب خاطفة، كما عرّف المسيح الأنبياء الكذبة قائلا عنهم، "يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة. من ثمارهم تعرفونهم" (متى ٧: ١٥-١٦). نعت يسوع الفريسيين بالمرائين لأن هدفهم الأكبر، كان كسب ثناء الناس وان كان في الباطل. واجههم المسيح بريائهم مكيلا لهم الويلات بالقول، "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيّضة تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا، ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما" (متى ٢٣: ٢٧-٢٨).

في كتابه "أساطير النحل"، "Fables of the Bees"، يسلّط الكاتب الانكليزي، برنارد موندفيل عام ١٧١٤، الضوء على آفة الرياء في مجتمعه الأوروبي، إذ رأى النشاط الاجتماعي للنافذين في مجتمعه، على أنه مجرّد قناع للبطل والكبرياء. قال الصحافي السياسي، ميكيال جيرسن، "الرياء السياسي هو الاستخدام الواعي لقناع خادع، يخدع فيه الرجل السياسي الشعب من أجل فائدة سياسية". أظهرت دراسات أن هناك علاقة مباشرة، بين ازدياد النفوذ في السلطة، وبين بازدياد الرياء لدى المتسلّطين، كون أن ذوي السلطة يظهرون انفصامًا أكبر في شخصياتهم، بين ما يقولون وكيف يتصرفون.

في كتابه، "يسوع ابن الانسان"، يخصص الكاتب والأديب اللبناني، جبران خليل جبران، فصلا ليتحدث عن رأي يسوع القاسي في المرائين. الفصل بعنوان: "لوقا في المرائين". يقول جبران، "لقد احتقر يسوع المرائين، وبالغ في تعنيفهم. كان غضبه ينقضّ عليهم انقضاض الصاعقة. كان صوته رعدا في آذانهم، ترتعش لهوله قلوبهم. لقد قضى يسوع قضاء مبرماً على المرائين الذين يبرّقعون وجوههم ،ويغطّون أيديهم. لم يغلق بابه الاّ في وجوههم. أما الضعفاء الذين يسميهم خطاة ، فهم كالفراخ التي لا ريش لها الساقطة من العش. ولكن المرائي نسر جالس على صخرة يتوقع فريسة بريئة لينقضّ عليها. الضعفاء هم رجال ونساء ضائعون في الصحراء، ولكن المرائي غير ضائع، فهو يعرف الطريق ولكنه يضحك بين الرماح والرياح".

أصلح يارب حكامنا وأصلحنا جميعا. وأبعد عنهم وعنا آفة الرياء المدمّرة، التي تدمّر الحياة والوطن.

القس سهيل سعود

الزمان الرديء في وطني لبنان

"لذلك يصمت العاقل في ذلك الزمان، لأنه زمان رديء"
(عاموس٥: ١٣)

من الأنبياء، الذين عرفوا بانتقادهم لفساد وظلم الحكّام، النبي عاموس، الذي عاش في القرن السادس قبل الميلاد. كان يسود بلاد عاموس: الفساد والغش والكذب والظلم. حكّام وقضاة بلاده، يتقاضون الرشوة، لتمرير الصفقات والمعاملات المشبوهة. كانو يضايقون المساكين النزهاء الذين يقصدونهم، طلبا للانصاف في قضاياهم، لكنهم كانوا يغلقون الباب في وجههم. انتقدهم النبي عاموس، قائلا: "لأني علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة، أيها المضايقون البار، الآخذون الرشوة، الصادّون البائسين. لذلك يصمت العاقل في ذلك الزمن، لأنه زمان رديء" (عاموس٥: ١٠-١١). من الأمور البغيضة التي كان يقوم بها، أولئك الحكّام والقضاة، تقاضي الرشوة، يقول عاموس، "الآخذون الرشوة". عرّف أحدهم الرشوة، على أنها "أي شيء يعطى الى شخص ما، أو يوعد باعطائه إياه، قد يكون: مال، أو هدية، أو خدمات شخصية، أو غيره، ليقوم بشيء مخالف للأخلاق والقانون، فيؤثّر بل يغيّر في مجرى الحكم بالعدل، في قضية ما". الرشوة تعمي، العيون عن رؤية الحق. وتصمّ الآذان عن الاصغاء الى صوت الضمير، فيحرّفون القضاء، ويحكمون لصالح من يدفع الرشوة، ويظلمون الفقير. انتقد النبي اشعياء، قادة أورشليم المرتشين، قائلا، " كل واحد منهم يحب الرشوة، ويتبع العطايا. لا يقضون لليتيم، ودعوى الأرملة لا تصل اليهم" (اشعياء ١: ٢٣). فالرشوة تضيّع حق اليتيم، وتجعل القاضي، يضع في الدرج دعوى الأرملة، الى أجل غير مسمّى. والرشوة تدمّر البلاد، "الملك بالعدل يثبّت الأرض، والقابل الهدايا يدمّرها" (أمثال ٢٩: ٤).

العدل هي صفة أساسية من صفات الله. يقول المرنم: "العدل والحق قاعدة كرسيه... السموات تخبر بعدل الله " (مزمور ٩٧: ٢و٦). تأملوا بقوة هذه الصورة حول أهمية العدل في نظر الله. فالقاعدة هي المكان حيث يضع الله كرسيه عليه، ليملك بالحق والعدل على العالم. فالله يبغض الظلم على أنواعه. يقول النبي صفنيا: "الرب عادل في وسطها، لا يفعل ظلمًا" (٣:٥). العدالة ليست فقط مطلبا اجتماعيًا ، ولكن قبل أي شيء مطلبا الهيا، لأن العدالة هي صفة من صفات الله. يقول كاتب سفر الأمثال: "إفتح فمك لأجل الأخرس. في دعوى كل يتيم افتح فمك، إقض بالعدل وحام عن الفقير والمسكين" (أمثال ٣١: ٨و٩).

أسمى النبي عاموس ذلك الزمان، "الزمان الرديء"، أي زمن الشرّ. قال: "لذلك يصمت العاقل في ذلك الزمن، لأنه زمان رديء" (عاموس٥: ١١). توقّف المفسرون عند تفسير هذا القول، وتساءلوا: هل يدعو النبي عاموس، العاقل الى الصمت على الفساد والظلم، وهو معروف عنه باحتجاجه على الفساد وعدم الصمت؟ ميّز باحثون بين: كلمة "الصمت"، وكلمة "الهدوء". واعتقدوا أن الصمت هو ما يفرض فرضا، وأمّا الهدوء فهو ما يسعى إليه الحكماء بحريّة. الصمت، يستخدم للتخويف والتهديد والتسلّط. إنه صمت القمع. هذا النوع من الصمت، هو بحسب بتعبير اليوم، هو صمت "كمّ الأفواه". انه اجبار ذوي الحق والمطالب العادلة على الصمت، بوسائل غير أخلاقية ، وحجز حرية تعبيرهم عمّا يجول في قلبهم من أوجاع وآلام.

للأسف لم يتغير هذا الواقع منذ أكثر من خمس وعشرين قرنا. لا يزال حتى اليوم، يوجد قادة يستخدمون سياسة "كمّ الأفواه"، كيما يبقون متربعين على كراسيهم في السلطة. لهذا انه زمان رديء. يعزو النبي عاموس، سبب انتشار: الفساد والرشاوى والظلم، الى الخطية. يقول، "لأني علمت أن ذنوبكم كثيرة وخطاياكم وافرة" (عاموس ٥: ١٠). نعم الخطية هي مشكلة البشرية جمعاء. ومحبة المال، التي دفعت بالحكّام والقضاة الى الارتشاء، كانت السبب في انتشار الفساد والرشوة والظلم في وطن مملكة يهوذا آنذاك. ونحن نعاني في وطننا الجريح لبنان، من نفس المشكلة التي عاني منها النبي عاموس. نحن نعيش في زمان رديء، لأن معظم حكّام وقضاة بلادنا قد فسدوا وأفسدوا، بسبب ذنوبهم الكثيرة وخطاياهم الوافرة. أحبّوا المال أكثر من محبّتهم لله والوطن والناس، فارتشوا ومرّروا الصفقات، ونهبوا أموال الدولة والفقراء، وأذلوهم أشدّ الاذلال. نعم انهم من أوصلوا وطننا وشعبنا المسكين، الى هذا الزمان الرديء. يا رب إرحم شعبنا المجروح، ووطننا الجريح لبنان.

القس سهيل سعود

السنين الصامتات في حياة يسوع المسيح

بعد ولادة يسوع، يتبادر الى ذهن البعض تساؤلات منها: ماذا نعرف عن فترة ما بعد الولادة ؟ كيف صرف يسوع المسيح طفولته وشبابه وسني عمره القصيرة التي عاشها على الأرض؟ مما لا شك فيه، أنها مرحلة صامتة. هذه الأسئلة وغيرها، كانت حقل أبحاث بعض الناقدين والكتّاب الفضوليين، لغايات ربما جيدة وربما سيئة. صحيح أن جلّ ما تذكره الاناجيل عن حياة المسيح معلومات قليلة جدا هي: ولادته (لوقا ٢: ١-٧). ختانه وتسميته عندما كان عمره ٨ أيام (لوقا ٢: ٢١). تقديمه للرب في الهيكل عندما كان عمره ٤٠ يوما (لوقا ٢: ٢٢-٢٤). هروب العائلة، يوسف ومريم مع الطفل يسوع الى مصر خوفا، من بطش هيرودس، عندما كان عمره حوالي السنتين (متى ٢: ١٣-١٥). اصطحاب يوسف ومريم للصبي يسوع الى أورشليم في عيد الفصح، عندما كان عمره ١٢ سنة (لوقا ٢: ٣٩-٥٣). ثم تصمت الأناجيل ولا تذكر شيئا عن حياته لـ ١٨ سنة متتالية، منذ أن كان عمره ١٢ سنة وحتى عمر ٣٠ سنة، حين بدأ يسوع خدمته وبشارته بملكوت الله. فالمسيح صرف ثلاث سنوات فقط في الخدمة، الى أن بلغ من العمر ٣٣ سنة.

في سياق ملء فراغ السنين الصامتات، برزت أناجيل الطفولة الأبوكريفية، عن طفولة يسوع وكتابات أخرى عن شباب يسوع، كانت عبارة عن قصص مختلقة ومفبّركة، مزج بعضها بعناصر أسطورية من نسج الخيال، صوّرت الطفل يسوع كطفل خارق يقوم بأعمال أسطورية خارقة للطبيعة، دون هدف روحي. مثلا: ظهرت كتابات في القرون الوسطى بأن المسيح ذهب الى بريطانيا. ومن أكثر الكتابات تداولا، والتي لا تزال تظهر حتى في يومنا هذا، كتابات تدّعي بأن المسيح ذهب الى الهند والتيبت، وهناك تواصل مع التعاليم البوذية والهندوسية، وأنه مات في كشميرعن عمر ١٢٠ عاما. يذكر الكاتب الروسي نيكولاوس ناتوفيتش في كتابه، "حياة المسيح غير المعروفة، الذي أصدره عام ١٨٩٤، أن المسيح صرف ١٧ سنة في الهند، وكان تلميذا ومعلما للديانة البوذية والهندوسية. إن اشكالية تلك الكتابات، أنها لا تقدّم الصورة الحقيقية الكتابية والمفهوم الصحيح عن شخص المسيح، بل تتضمّن مغالطات كريستولوجيه ولاهوتيه. يؤكّد علماء الكتاب المقدس، الذين اطّلعوا على تلك الكتابات ومثيلها، أنه ليس هناك أي أساس تاريخي لها. ولا تستطيع أن تصمد أمام البحث والتمحيص العلمي التاريخي. يذكر اللاهوتي، فيلهم شنيملخر،الخبير في كتابات أبوكريفا العهد الجديد، أن ادعاء ناتوفيتش، لا أساس له من الصحة. ولم يطّلع أحد على المخطوطة التي اعتمد عليها الكاتب في نظريته حول ذهاب المسيح الى الهند.

لكن نسأل ما هو موقف الكنيسة من هذه السنين الصامتات ؟

أولا: تستقي الكنيسة معلوماتها ومفهومها عن المسيح من كتب العهد الجديد القانونية المقبولة. وهي الأقرب تاريخيا الى حدث يسوع المسيح التاريخي. يقول الرسول بطرس، "لأننا لم نتّبع خرافات مصنّعة، اذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه بل كنا معاينين لعظمته" (٢ بطرس ١: ١٦).

ثانيا: ان عدم معرفتنا لتفاصيل حياة المسيح في السنين الصامتات، ليس بالأمر الغريب. فهناك الكثير من رجالات الكتاب المقدس، الذين لعبوا دورا بارزا، لا نعرف تفاصيل حياتهم. مثلا: كم نعرف عن طفولة النبي موسى والمعمدان والتلاميذ وغيرهم؟ وبالتالي، ليس هناك أية مشكلة لاهوتية في تلك السنين الصامتات. فالكنيسة الاولى، لم تجد أي احراج في عدم ورود معلومات تفصيلية عن حياة المسيح. لكنها آمنت أن ما ورد في الكتاب المقدس، يكفي لخلاصنا وتعليمنا وتقدّمنا في البر .

ثالثا: هناك ملاحظتان اساسيتان تذكرهما الاناجيل، تعطينا صورة حقيقية عن السنين الصامتات. الأولى، في نهاية سرد البشير لوقا، لقصة اصطحاب العائلة للصبي يسوع الى أورشليم عندما كان عمره ١٢ سنة. يختم البشير قائلا، "وأما يسوع فكان يتقدّم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس (لوقا ٢: ٥٢). هذه الآية تعطينا فكرة، أن المسيح كان ينمو مثل باقي الناس، في الحكمة والقامة والنعمة. والملاحظة الثانية، عن عمل المسيح أثناء السنين الصامتات، اذ تشير أن يسوع عمل في مهنة النجارة، كما كان يعمل يوسف، كما يقول البشير مرقس، "أليس هذا هو النجار ابن مريم..." (مرقس ٦: ٣).
أخيرا: هناك درسا روحيا عظيما، تعلّمنا اياه السنين الصامتات، اذ تعلّم كل الساعين منا نحو حب الظهور والنفوذ والسلطة، أن يسوع المسيح، صرف معظم حياته في تواضع وهدوء وسلام، بعيدا عن حب الظهور. صرف ثلاثين سنة من حياته معظمها بصمت، تحضيرا ليبدأ خدمة روحية مثمرة في ملكوت الله، غيرّت ولاتزال تغيّر الملايين عبر التاريخ.

القس سهيل سعود

الغضب المذموم

صدر الأسبوع الماضي تقريرا عن مؤسسة إحصاءات أميركية، تدرس كيفية شعور الناس حيال حياتهم في كل مكان في العالم، تدعى المؤسسة: Gallup Global Emotions . أقامت المؤسسة إستبيانات على ألف شخص من مئة بلد، بهدف معرفة شعورهم حيال حياتهم في العامين: ٢٠٢١-٢٠٢٢، فتصدّر الشعب اللبناني قائمة الشعب الأكثر غضبا في العالم، وكان الشعب اللبناني من بين أول خمس شعوب تصدرت القائمة، هي: الشعب العراقي والتركي والأرمني والأفغاني. هذا التصنيف السلبي للشعب اللبناني، سببه الحالة النفسية التي تركها إنفجار ٤ آب على اللبنانيين، وتراكم الأزمات السياسية والاقتصادية والمالية والنفسية، وازدياد كبير في نسبة الفقر والبطالة، وفقدان الخدمات العامة في الدولة لفعّاليتها.

تحدثنا في مقالة الأسبوع الماضي عن الغضب الممدوح الذي هو غضب الشرفاء ونظيفي الكفّ والمستقيمين والمظلومين، ضد الفساد والفاسدين. إنه الغضب من أجل قضايا العدالة والانصاف . ذكرنا أن هذا الغضب يجب ان يبقى تحت السيطرة وضمن حدود الآداب والأخلاق المسيحية. وأرجو ان يكون غضب الشعب اللبناني في هذا الاتجاه، أي غضب ممدوح. لكن هناك أيضا غضب غير ممدوح، غضب مذموم من قبل الله والكتاب المقدس. هذا النوع من الغضب يتضمّن حالات متقدّمة من المشاعر القوية بل الغليان، يعبّر عنها بكلمة الغيظ أو السخط الشديد. إن المشكلة الأساسية في هذا الغضب أنه يسبّب الاساءة الى الله والناس الآخرين. يسمّي الرسول يعقوب هذا النوع من الغضب: الغضب الذي لا يصنع برّ الله. يقول "لأن غضب الانسان لا يصنع بر الله" (يعقوب ١:٢٠). هذا الغضب هو غضب المتكبّرين والحاسدين والمتسلّطين والظالمين، وذوي المصالح الشخصية الضيقة، الذين ليس لديهم حتى لإخوتهم وأخواتهم مكانا في حياتهم. ولا يهمهم سوى أنفسهم ومكانتهم ونفوذهم. هذا النوع من الغضب يؤدي الى نتائج خطيرة على الانسان والمجتمع، لأنه يخرج عن السيطرة.

يقول سليمان الحكيم كاتب سفر الأمثال: "الرجل الغضوب يهيّج الخصومة، وبطيء الغضب يسكّن الخصام" (أمثال ١٥:١٨). هذا القول هو أساسي جدًا لوصف دوافع الغضب المذموم. إنّ كل غضب يسعى لإثارة الخصومات والانقسامات وحيك المؤامرات، ويؤدي إلى حقد وكراهية ونتائج سلبية على صعيد علاقات الإنسان مع الله ومع الآخرين، هو غضب مذموم لا يصنع برّ الله. والأمثلة من الكتاب المقدس كثيرة. نكتفي بعرض مثلين: الأول، من العهد القديم هو: غضب قايين على أخيه هابيل. والثاني، من العهد الجديد، هو غضب الابن الأكبر على أبيه وأخيه.

نرى النموذج الأول من غضب الغليان او الغيظ الذي خرج عن السيطرة، في غضب قايين على أخيه هابيل. لم يستطع قايين أن يتحمّل رضى الله على قرابين أخيه هابيل من الغنم، وعدم رضاه على قرابينه من ثمار الأرض (تكوين ٤: ١-٧). يقول كاتب سفر التكوين: "فاغتاظ قايين جدًا وسقط وجهه" (تكوين ٤:٥). ومع أن الله حذّر قايين من نتيجة غيظه الشديد الذي سيؤدي الى خطية كبيرة ، قائلا له: "لماذا إغتظت ولماذا سقط وجهك؟ إن أحسنت أفلا رفع. وإن لم تحسن فعند الباب خطية رابضة، وإليك اشتياقها، وأنت تسود عليها" (تكوين ٤: ٧). إلاّ أن غيظ قايين أفقده تمالكه لنفسه، فتحكّم غضبه به، وهكذا قاده إلى اقتراف الجريمة الأولى في التاريخ بقتل أخيه، إذ يقول كاتب سفر التكوين ، أنه عندما "كانا في الحقل قام على هابيل أخيه وقتله" (تكوين٤:٨). وهكذا، نرى في هذا المثل، أن الغيظ الشديد بدافع الحسد والغيرة أدى ويؤدي إلى جرائم قتل كثيرة في العالم.

وفي المثل الثاني، الذي هو مثل "الابن الضال"، يخبرنا البشير لوقا أنه عندما عاد الابن الأصغر الضال إلى البيت واستقبله أبوه سالما باحتفالات الطرب والرقص، فإن موقف الابن الأكبر من عودة أخيه الضال، كان الغضب. يقول البشير لوقا، "فغضب ولم يرد أن يدخل" (لوقا ١٥:٢٨). لقد رفض الابن الأكبر المشاركة مع أبيه والاخرين في الاحتفال بعودة أخيه بالفرح والرقص، وأصرّ على مطالبه الشخصية وحقوقه ، مع أنه لم يطلب شيئا من أبيه قبلا. وبالرغم من أنّ أباه خرج اليه، طالبا منه الدخول إلى البيت لمشاركة العائلة بالفرح، قائلاً له: "ولكن كان ينبغي أن تفرح وتسرّ، لأن أخاك هذا كان ميتًا فعاش وكان ضالاً فوجد" (لوقا ١٥:٣٢)، إلاّ أنّ غيظه سيطر عليه وتحكّم فيه، فأصرّ على موقفه السلبي ورفض المشاركة. وهكذا نرى أن الغيظ يؤدي إلى الانقسامات وتدهور العلاقات في العائلات، ويقف عائقا أمام المشاركة في توبة وأفراح الناس. نصلي الى الله، أن يجعل غضب اللبنانيين واللبنانيات غضبا ممدوحا، وليس غضبا مذموما.

القس سهيل سعود

الفقر ظلم وشرّ

تعيش الأكثرية الساحقة من اللبنانيين واللبنانيات في هذه الأيام في فقر شديد، وانعدام للموارد المالية، وذلك بسبب فشل الطبقة الحاكمة التي بمعظمها فاسدة ومفسدة وراعية للفساد، في ادارة البلاد ورعاية أحوال الناس والحفاظ على حقوقهم وودائعهم التي ادّخروها بعرق جبينهم. اذا ما أردت أن تتعرف عن كثب على أحوال المواطنين والمواطنات، يكفي أن تتابع برنامج ربيكا أبو ناضر ، "الحلّ عنا"، يوميا على شاشة ال MTV الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر، لترى حالة الظلم والذلّ وانعدام الكرامة، التي اصبح يعيش فيها أعدادا كبيرا من شعبنا المتألم. فالكثير من اللبنانيين واللبنانيات أضحوا يستجدون الدواء، والمال لاجراء عمليات جراحية ولدفع ايجارت منازلهم، وأمور حياتية كثيرة. الفقر في بلدنا الحبيب لبنان، أصبح ظلما وشرّا وذلاً واذلالاً.

نظر لاهوت القرون الوسطى الى الفقر، على انه حالة مفضّلة لدى المسيحيين لأنه يجعل الانسان غير متمسّك بشيء في هذه الحياة ويشجّعه ليضع رجاؤه في الله وحده بانتظار المكافأة. انتشرت في تلك الفترة رهبنات متنوّعة، شدّدت بشكل مبالغ على الفقر، وتمّ النظر الى التصدّق على الفقراء، على انه من الأعمال الصالحة التي تساهم في خلاص الانسان. لهذا، تمّ التركيز على فاعل الصدقة، ربما أكثر من المستلم وحاجات الفقراء، للاعتقاد بالقوة الروحية التي تحملها الصدقة امام الله .يأتي القديس فرنسيس الأسيزي، مثالاً في القرن الثاني عشر لتقديس الفقر، لأنه رفض الغنى والمال ودعا الى عدم الاكتراث به والقلق بشأنه". الاّ انّ المصلحين الانجيليين عملوا على تغيير هذه الذهنية. وجدوا أن تلك الايديولوجية، منعت الناس من رؤية الحاجة الى تغيير البنية الاجتماعية والاقتصادية، التي تسبّب الفقر للناس. اعتقد مارتن لوثر، أن هناك خللاً بنيويًا في المجتمع، وأن هناك قوانين اقتصادية واجتماعية تظلم الفقراء وتدمّرهم . رأى مجموعة قليلة من الاغنياء، تتحكّم بمعيشة الأكثرية الساحقة من الفقراء. الاّ أن عقيدة "التبرير أمام الله، بالايمان وحده"، التي أطلقها المصلح مارتن لوثر، أي أن الله يقبلنا ويخلصنا بايماننا به، وليس بقيامنا بأعمال صالحة مثل التصدّق على الفقراء وغيرها، (اذ اعتبر الأعمال الصالحة نتيجة طبيعية وعفوية للايمان)، قد قطعت شريان لاهوت الفقر. آمن المصلحون أن خلاص الانسان هو عطية مجانية من الله، تأتي بالايمان الحي بيسوع المسيح والثقة الواثقة فيه، بغض النظر عن الاعمال الصالحة التي يقوم بها، والتي أصبحت تأتي في المرتبة الثانية، كثمار للايمان. كانت النتيجة العملية لهذه العقيدة، أنها أفقدت القوة الخلاصية للصدقة. وهكذا ابتدأ ينظر المصلحون الى الفقر كظلم وشرّ، وآفة اجتماعية يجب محاربتها وعلاجها، بالاضافة الى باقي الشرور الاخرى. علّق مارتن لوثر، على موقف القديس فرنسيس الأسيزي من تقديس الفقر بقوله: "لقد استبدل القديس الأسيزي، عطية غفران الخطايا بقانون جديد هو التخلي عن كل شيء". وأضاف، "ليس الفقر أمرًا يجب ان نختاره او نسعى وراءه. فهناك أصلاً عددًا كافيًا من الفقراء في العالم، كما قال المسيح "الفقراء معكم في كل حين" (يوحنا١٢:٨). بهذا اللاهوت الجديد، لم يعد ينظر الى الفقراء اهدافًا للصدقة، كيما نربح من خلالهم استحقاقا عند الله، بل أصبح ينظر اليهم على أنهم أقرباء نخدمهم ونعمل من اجل عدالتهم وانصافهم، من خلال الانظمة والقوانين المدنية والكنسية. في مقالته "مارتن لوثر حول الفقر" لكاتبها، كارتر ليتنبرك، قال الكاتب، "لم يتحدث لوثر عن الفقر، كسياسي او اقتصادي أو عالم اجتماع، وإنما كلاهوتي يعلن رسالة الانجيل. لم يكن التزامه بالقضايا الاجتماعية على الطريق الارسطوطالسية بالتحوّل من الرذيلة الى الفضيلة، وإنما تحدث كلاهوتي في خدمة الانسان". عمل مارتن لوثر ومصلحين آخرين مع الحكومات القائمة على وضع تشريعات جديدة تأخذ بعين الاعتبار، انصاف الفقراء وحفظ حقوقهم. صدرت قرارات حكومية لتنفيذ هذا التوجّه الجديد، فأصدر مجلس مدينة ويتنبرغ قرارًا بمنع التسوّل. ان الجهد الاول الذي قام به لوثر في هذا السياق، تأسيس صندوق للعمل الاجتماعي في مدينة ويتنبرغ عام ١٥٢٢ ولاحقًا في المدن التي دخل اليها الاصلاح. تمّ تمويله أولاً من خلال التبرعات ولاحقًا من خلال الضرائب. كان هذا الصندوق اختلافًا جديدًا قدّم خدمات اجتماعية .

بفضل تمويل هذا الصندوق: تمّت مساعدة الفقراء والأرامل والأيتام. قدّم الصندوق قروضا بلا فائدة لمساعدة الفقراء في مشاريع صغيرة أسّسوها، وعندما لم يتمكنوا من تسديد ديونهم، سامحوهم فيها. دعم الصندوق، التدريب المهني والتربوي للفقراء .عندما ارتفعت الفائدة الى ٤٠٪ على المستدينين، دعا لوثر الى تخفيضها الى حوالي ٤ او ٥٪. قال "حاجات الفقراء هي اهم من الربح الشخصي". قال، "ألا يُسمّى الذين يفعلون مثل هذه الأمور قتلة؟ مع أنهم لم يقترفوا جرائم حقيقية، إلاّ أنهم سمحوا بهلاك الفقراء". عندما تضاعفت اسعار المواد الغذائية وبقيت الرواتب كما هي ، لم يتردّد في القول ان ما يحدث هو سرقة وقتل مقنّع. أعلن قائلا: "الله يعارض الطمع والاستغلال. ألا يدرك الطمّاعون ان ما يحدث هو ببساطة سرقة للناس. ألا يعلمون أولئك انهم يجّوعون الناس ويقتلوهم، عندما لا يبقى لديهم ما يعتاشون منه". دعا الى المسائلة العلنية لظالمي الفقراء، كما دعا كل المسؤولين الكنسيين والحكوميين الى حماية الفقراء. في كتابه "الكاتخيسم الكبير"، قال لوثر: "يسلب الفقراء يوميًا. يرهقون بأحمال غلاء الاسعار. ويستغل الطمّاعون الاسواق بطرقهم الخبيثة، وكأنها ملكهم فيبيعون البضاعة بأغلى الاسعار. إنهم يأكلون خبزنا ويشربون ماءنا ويعيشون على أجساد الفقراء". اطلق لوثر على الخدمات الاجتماعية تسمية، "الليتورجيا الاجتماعية التي تلي الليتورجيا الروحية". قال، "سيكون العالم مليئًا بالعبادة، اذا ما ساعدنا الفقراء والمحتاجين". اللهم نرفع لك فقراءنا، كيما تمنحهم الصبر والايمان. وتمنح حكامنا الحنان والارادة ليرفعوا كأس الفقر عنهم.

القس سهيل سعود

"المبرّىء المذنب، والمذنّب البريء: كلاهما مكرهة الرب"

عندما اختار ملك مملكة يهوذا يهوشافاط ، قضاة للقضاء في نزاعات الشعب، فقد أعطاهم التعليمات التالية: "أنظروا ما أنتم تفعلون، لأنك لا تقضّون للإنسان، بل للرب. هو معكم في أمر القضاء. والآن لتكن هيبة الرب عليكم. إحذروا وافعلوا، لأنه ليس عند الرب إلهنا: ظلم ولا محاباة ولا إرتشاء" (أخبار الأيام الثاني١٩: ٦-٧). أوصى الملك يهوشافاط قضاته بأن يعدلوا في قضائهم، لأنهم لا يقضون للانسان بل للرب. نصّت شريعة التثنية حول القضاء قائلة: "إذا كانت خصومة بين أناس، وتقدّموا الى القضاء، ليقضِ القضاة بينهم. فليبرّروا البار، ويحكموا على المذنب" (تثنية٢٥: ١). إلاّ انه وللأسف، هناك بعض القضاة إن كان في الزمن الماضي، أو اليوم في وطننا الجريح لبنان، يضربون بعرض الحائط بهذه الوصية المحورية التي تحافظ على نزاهة القضاء، وتوصل كل ذي حق الى حقه، فيطلق البريء، ويعاقب المذنب.

حذّر الملك سليمان الحكيم، قضاة مملكته، ويحذّر قضاة اليوم في لبنان قائلا: "المبرّىء المذنب، ومذنّب البريء، كلاهما مكرهة الرب" (أمثال١٧: ١٥). تحدث الحكيم عن قضاة، الذين لغاية ما في نفس يعقوب: إما لتوجّهات أو ضغوطات سياسية، أو لربح شخصي ما من مال أو سلطة، أو لأجندة شخصية خفية، يقلبون الحقيقة رأسا على عقب. حذّر من قضاة يجعلون من الإنسان المذنب بريئا، ومن الأبرياء مذنبين. قضاة يصدرون أحكاما منافية كليا للحق والعدالة. يقول الحكيم إن ما يفعلونه مكرهة للرب، لماذا؟ لأن الله العادل في طبيعته، يريد أن تسود العدالة والانصاف بين الناس. أوصى الحكيم، قائلا: "لا تخترع شرًا على صاحبك، وهو ساكن لديك آمنا. لا تخاصم إنسان بلا سبب، إن لم يكن قد صنع معك شرًا" (أمثال٣: ٢٩-٣٠). أدرك الملك سليمان خطورة ما يفعله القضاة الفاسدون عندما يبرّئون المذنبين والمجرمين والمرتكبين شرورا شنيعة بحق الناس. أدرك أنهم بفعلتهم هذه، إنما يشجّعون الفاسدين على المزيد من الفساد والاجرام والشرّ والظلم ضد الناس، ويعرّضون حياة وأملاك الناس للمزيد من الأخطار. فالقضاة الذين يذنّبون الناس الأبرياء، إنما يجعلونهم يشعرون بالإجحاف والإحباط والألم والظلم. هذا ما فعله بعض قادة اليهود والرومان عندما أسلموا المسيح للمحاكمة. ذنّبوا المسيح وهو البريء. إختلقوا العديد من الإتهامات، من سياسية وأمنية ودينية، لإيهام الحاكم بيلاطس البنطي أنه مذنب. لكن بعد أن أنهى الحاكم تحقيقاته، إكتشف زيف تلك الاتهامات وقال عنه: "إنه بريء" (متى ٢٧: ٢٤). إلاّ أنه وبتحريض من القادة الفاسدين، أطلق الحاكم الفاسد بيلاطس، المجرم المذنب باراباس حرّا، وحكم على يسوع المسيح البريء، ظلما بالصلب.

تحدّث المصلح الانجيلي جان كلفن، عمّا أسماه "العدالة الكتابية"، أو عدالة الكتاب المقدّس التي هي عدالة نقية كاملة الأوصاف، لا فساد فيها. قال، "يجب أن تتسرّب العدالة الكتابية الى المجتمع". آمن كلفن أن المحبة المسيحية هي محبة فاعلة، لا تكتفي فقط بالإمتناع عن فعل الشر، وعدم إلحاق الضرر بالآخرين ، بل هي محبة تسعى لفعل الخير والوقوف الى جانب الحق. إنها محبة تتطلّب مواقف وأفعال داعمة للقضايا العادلة والمحقة. قال كلفن، "إن عذاب الضمير، هو جحيم النفس الحيّة". في محاضرة، حول الاصحاح الثاني عشر من سفر حزقيال، الذي يشدّد على "العدالة والإدانة"، عرّف كلفن العدالة، على أنها: "التصرّف بايمان وتقوى، والامتناع عن إلحاق الضرر بالآخرين، وإنصاف القريب، والدفاع عن القضايا المحقّة، وحماية الأبرياء عندما نرى أنهم مظلومون ومجروحون دون سبب". قال كلفن: "تتضمّن العدالة، الحفاظ على خير الانسان الجسدي والاقتصادي والمالي، ومساعدة الناس المعوزين، ومعارضة الظلم بشكل علني، وحماية سمعة الأبرياء المشهّر بهم، ورفض الكذب والغش". توجّه كلفن الى القضاة قائلا: "يعتبر القضاة مذنبون أمام الله بتهمة إهمال واجباتهم، إن لم يقوموا من تلقاء أنفسهم بمساعدة اولئك الذين هم بحاجة لتدخلهم لإنصافهم". شجّع كلفن المسيحيين على عدم الإستقالة من واجبهم المسيحي، مهما تعرّضوا للألم والاضطهاد، والطرد بسبب دفاعهم عن البرّ والصلاح والعدالة، بل عليهم أن يستمروا في الشهادة للمسيح من خلال مواقف الحق والبرّ، بالرغم من آلامهم.

أما نحن، في وطننا الحبيب لبنان. وإذ تطلّ الذكرى الثانية لتفجير ٤ آب البغيض. ماذا نقول لأهالي الضحايا الذين لا يزالون، يتظاهرون شهريا، وينتظرون بعض العدالة علّها تخفّف من بعض آلامهم وإحباطاتهم، وتعيد لهم الأمل بوطن أفضل. لكن يا للأسف لم يحدث شيء بعد. لا تزال التحقيقات متوقّفة والقاضي بيطار ممنوع عليه الاستمرار في التحقيق. وقادة ومسؤولون ونوّاب إستدعوا للتحقيق لكن لم يمثلوا أمام القضاء، وأناس ربما أبرياء في قضية المرفأ هم محتجزون. يا لسخرية الدهر! يا للعدالة الغائبة! قال أحد المفكّرين، "للأسف صرنا في زمن، أصبح فيه للمجرم حقوق أكثر من الضحية". يا رب إمنح الصبر لأهالي الضحايا، وعزّي قلوبهم المكسورة. واحفظ وطننا الجريح لبنان.

القس سهيل سعود

المرأة في عينيّ المعلم بطرس البستاني

حين كان يُنظر إلى المرأة، منذ حوالي القرنين، فقط كأمّ وكمربيّة لأولادها، تسود على مملكتها في المطبخ، كان للمعلم بطرس البستاني، نظرة مختلفة إليها. كان يرى أن حقوق المرأة لا تنقص عن حقوق الرجل. قال البستاني: "لكل دوره في المجتمع. للمرأة دورها، وللرجل دوره". إعتقد أن تعليم النساء هو أمر أساسي من أجل بناء مجتمع عصري مثقّف. وهي ستكون المستفيدة الأولى من تعلّمها، لأن هذا سيمنحها الحكمة في التعامل مع عائلتها وأولادها ومجتمعها. في دعوته إلى التعلّم، قال البستاني: "التعلّم هو مولّد التطوّر الإنساني. إنه الوسيلة لإنقاذ الوطن من الركود، والسير نحو التقدّم، ونحو حياة أفضل". إعتبر أن التعلّم يجب ألاّ يكون مجرّد خيار من خيارات متعدّدة، بل هو ضرورة ماسة للرجال والنساء. التعلّم هو عملية تجديد ذاتي للوصول إلى الهدف الأسمى الذي هو الخير العام. تحدّث البستاني عن ضرورة تثقيف وتعليم النساء في المواضيع التالية: القراءة، اللغة، تربية الأطفال، الكتابة، مضمون الإيمان، الإقتصاد، الجغرافيا، التاريخ، والحساب. وكما أكّد على حقوقها فانه أيضًا أكّد على مسؤوليتها في كل ما تقوم به. رفض البستاني قساوة تعامل الرجال مع النساء، قائلاً " يعود السبب في ذلك إلى نقص في معرفة ورؤية الرجال لدور المرأة الهام. إعتقد أن تعليم المرأة سيمكّنها من الوقوف إلى جانب زوجها ليتشاركا معًا في صعاب الحياة وفي القرارات البيتية.

في محاضرته بعنوان "خُطَبٌ في تعليم النساء"، رفض البستاني الزواج المدبّر مسبقا، وأعلن أن إجبار المرأة على الزواج من شخص لم تتعرّف عليه وتحبّه، هو إنكار لحقّها في الإختيار كشخص راشد في المجتمع". اعتقد أن الزواج يجب أن يبنى على الحبّ المتبادل. واعتبر أنّ حضارة أي بلد ، يجب أن تقاس في مستوى الإحترام والمحبة المتبادلة بين الأزواج. كان كلامه هذا، من وحي علاقة المحبة والاحترام التي سادت بين بطرس البستاني وزوجته راحيل، التي أطلق عليها أحد المثقّفين لقب، "فتاة الشرق". وصف المُرسَل الانجيلي هنري جسب، بيت بطرس البستاني وطريقة التعامل بينه وبين زوجته وأولاده، على أنه نموذج للبيت المسيحي.

رأى المعلّم بطرس البستاني دور النساء المتعلمات الهام في بناء وطن صالح، والمساهمة في تقدّمه. إعتبر أن الزوجة الفاضلة المتعلّمة والأم الصالحة، تشكّل مدماكًا للوطن. قال، "المرأة المثالية هي التي تحبّ وطنها، وتظهر غنى بمعرفة لغته وثقافته وتاريخه". تكلّم البستاني عن أهميّة تعلّم النساء اللغة العربية الصحيحة كيما ينقلن لأولادهنّ لغة الوطن. شجَع النساء، على تعلّم لغات أجنبية كيما يكتسبن أفكارًا أخرى من حضارات متنوّعة. قال: "لنأمل أن أبناء الوطن، سيهتّمون بالأدب الإنساني ويفرحون لانتشاره، ليس فقط بين الرجال، ولكن أيضًا بين النساء كونهنّ أمهات الوطن". وأضاف: "إن عدم تزويد المرأة بفرص التعلّم هو من أفظع اللعنات على الوطن. فإنه حتى الآن، فإنّ أبناء الوطن لم يأخذوا أخواتهن النساء بعين الإعتبار كجزء من الوطن. فاستثناء النساء من التعلّم، هو إنكارٌ لإنسانيتهنّ واستبعاد عن مشاركتهنّ في صياغة الوطن".

القس سهيل سعود

الميلاد تكيّف الله مع حاجات البشر
المصلح جان كلفن

في مقالته بعنوان: "التجسّد هو فعل تكيّف بامتياز. مفهوم جان كلفن للتكيّف"، "The Accommodating Act Par Excellence: An Inquiry into The Incarnation ,and Calvin's Understanding of Accommodation"

يذكر جان بالسراك، أن المصلح جان كلفن، اعتقد أنه في التجسّد والميلاد، كان يكيّف الله نفسه مع الامكانيات الانسانية". مما يذكره الكاتب، "أن التنازل أو الانحناء أو التكيّف، هي سمة بارزة في مفهوم كلفن عن الله". استخدم كلفن في كتاباته، ثلاث صور تعكس تكيّف الله مع حاجات البشر، هي صورة: الأب، والمعلم، والطبيب. وقد عكست هذه الصور اهتمام الله بحاجات شعبه. إلاّ أنه رأى أن التجسّد والميلاد، النموذج الأسمى، وفعل تكيّف الله بامتياز، مع حاجات الانسان. يذكر الكاتب: "في يسوع المسيح، اتّخذ الله شكلاً بشريًا"، كما يقول الرسول بولس، "اذ كان في صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله، لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد، صائرًا في شبه الناس" (فيلبي٢:٦-٧). وفي هذا الفعل، نرى التنازل والانحناء الالهي نحو حاجات البشر بامتياز. اعتقد كلفن أن مفهوم التكيّف، يتعلّق بشكل أساسي بإعلان الله عن نفسه للبشرية. آمن أن اعلان معرفة الله، هو فعل خلاصي، وأن حدث التجسّد أو الميلاد هو جزء أساسي من العناية الالهية. استخدم لغة مشوّقة لوصف هذا التكيّف الذي حصل في التجسّد. مما ذكره، "ليس هناك وقت تنازل فيه الله وانخفض أكثر من وقت إخلاء نفسه في يسوع المسيح". ميّز كلفن، أثناء دراسته لموضوع التاريخ الكتابي وأدب الحكمة، العديد من تعاملات الله مع البشر، على أنها تكيّف لله مع ضعفات شعبه وهشاشتهم، اذ يظهر هذا التكيّف حينا من خلال التخفيف من أحمالهم وجعل الحياة أكثر سهولة لهم. وأحيانا أخرى، يظهر من خلال السماح لأولاده باجتياز فترات من الضيق، كيما يوجّه أنظارهم الى السماء ويتوقوا للحياة الابدية.

في كتابه "أسس الايمان المسيحي" يصف كلفن، بطريقة خلاّقة وسحر لا مثيل له، السبب الذي لأجله تجسّد الله وصار إنسانًا في المسيح. قال "لم يكن المسيح متفرّجًا على حالتنا البشرية، بل كان مشاركًا فيها. فانه حيث أن الانسان قد أخطأ الآن وسقط من النعمة الالهية، أصبح هناك ضرورة ماسة لتجسد الله وميلاده في عالمنا". يضيف كلفن، "مع أن الله لم يكن مجبرًا على فعل ذلك، الاّ أنه صمّم أن يخلّص الانسان الساقط. وبالتالي، فالتجسد أو الميلاد هو عمل حرية محبة الله. لقد أخلى الله نفسه، في جسد بشريتنا في المسيح، كيما يسدّ احتياجاتنا الروحية، كيما نستعيد فينا صورة الله التي خسرناها في الخطية الأولى. في تفسيره لقول البشير يوحنا، "والكلمة صار جسدًا" (يوحنا١: ٢)، قال كلفن، "تحمل كلمة "جسدا"، "Sarks" باللغة اليونانية معنى قويًا جدا، فهي ترينا الى أية حالة وضيعة نزل ابن الله من أعالي مجده السماوي، وتجسّد من أجلنا. كما تصف الكلمة المسافة الكبيرة الفاصلة بين المجد الروحي للكلمة التي صار جسدا، وقذارة جسد بشريتنا. لكن، بالرغم من ذلك، انحنى ابن الانسان انحناء كبيرًا نحونا، كيما يتّخذ جسد بشريتنا المعتاد على الشرور الكثيرة، وضمّ في جسده: مجد الله غير المحدود، بجسدنا الملوّث بالخطية، كيما يخلّصنا ويفدينا على الصليب".

في تعليقه على حياة وعمل يسوع المسيح المخلّص، قال كلفن "لم يحتج المسيح أن يختبر ما نختبره، ليقنعنا أنه يعرفنا ويهمنا ويتعاطف مع ضعفاتنا، لكنه قام بذلك لنتيقّن أنه يشجعنا في أوقات ظلمتنا وصعوباتنا. لم يكن يحتج ابن الله أن يعتاد على المشاعر الانسانية، الاّ أنه لن يتمكّن من اقناعنا إن لم يكن مستعدًا لذلك، حتى عندما تضغط الآلام علينا، فإنه سيكون عزاءنا المباشر، لأنه قد اختبر هذه الآلام قبلنا. وهكذا، يمكنه أن يتعاطف معنا وسط آلامنا وكأنه يتألّم معنا". أضاف قائلا، "لقد ذاق المسيح اختبارنا الانساني من الداخل، وبادل قوته وثقته، بمخاوفنا وضعفاتنا. وبالتالي، فكل ما ينقصنا نجده في المسيح. إذا ما أردنا قوة، فهي ضمن سلطانه. وإذا ما فتشنا عن نقاء، نجده في طريقة حبل أمه القديسة مريم العذراء به بالروح القدس. وإذا ما سعينا وراء لطف، نجده في ميلاده. لأنه في ولادته، صار شبيهًا لنا في كل شيء.

القس سهيل سعود

الى أهالي ضحايا انفجار ٤ آب

تألم المسيح لكي يتضامن مع المتألمين

تساءل الكثير من المفكّرين: ألم يكن هناك من طريقة أخرى، قد يختارها الله ليخلّص البشرية، لا تتضمن ألم وموت المسيح؟ طبعا لا يستحيل على الله شيء. الاّ أن الله في حكمته الالهية، وجد ان الطريقة الفضلى لخلاص الانسان من الخطية واستعادة صورة الله فيه، هي من خلال آلام وموت يسوع المسيح.

يسلّط كاتب الرسالة الى العبرانيين الضوء على هذه الزاوية اللاهوتية، لاظهار ضرورة تألم وموت المسيح من اجل الانسان. يخبرنا الكاتب، أن المسيح اشتراك في انسانية الانسان وآلامه، في طبيعته البشرية التي لبسها، الى جانب طبيعته الالهية، لكي يشبه اخوته وأخواته البشر في كل شيء، ما عدا الخطية. ولكي يستطيع التضامن مع المتألمين والمجرّبين، ويعينهم في الآلام والصعوبات والضيقات والاحباطات التي يواجهونها. يقول كاتب العبرانيين، "ومن ثمّ كان ينبغي أن يشبه اخوته في كلّ شيء، لكي يكون رحيما ورئيس كهنة امينا في ما لله، حتى يكفّر خطايا الشعب. لأنه في ما هو قد تألم مجرّبا، يقدر أن يعين المجرّبين" (عبرانيين ٢: ١٧-١٨). أراد الكاتب أن يقول، أن اختبار المسيح للآلام والتجارب والضيقات والموت، قد أهّله ليفهم آلام المتالمين ويفهم أوجاعهم واحباطهم بخبرته الانسانية للألم. وهكذا، يمكنه أن يعينهم بقدراته الالهية، ويكون لهم الها وأخا وشريكا حقيقيا في آلامهم، ويعتقهم بموته وقيامته من عبودية الخوف من الموت (عبرانيين ٢: ١٤).

في عظته حول موضوع "لماذا يتألّم المسيحي؟"، يربط المصلح مارتن لوثر، بين آلام المسيحي، وآلام المسيح على الصليب، فيقول: " ليس الألم أمرًا نتمتّع به أو نسعى لأجله، لكنه فرصة نتشكّل من خلالها على صورة المسيح الذي تألّم". يقرّ لوثر بشكل واقعي، أنه من الممكن، ألاّ يشعر المتألّم الذي يعيش تحت وطأة آلام كثيرة، بالرجاء في وقت الألم. وإنما قد يشعر بهذا الرجاء المخبّأ، بعد عبور فترة الألم. يصرّح لوثر قائلا، "نحن بشر ولسنا آلهة. يجب أن يكون لدينا الثقة في مواعيد الله والخلاص الأبدي، لأنه ليس لنا أي بديل آخر".لا يحاول لوثر أن يقلّل من قوة تأثير الألم المدمّر للحياة، لكنه يحاول تحويل الألم الى شكل آخر له إفادة روحية، فنتحمّله برضى. قال، "عندما نتألّم، فإننا نشاكل صورة المسيح الذي تألّم. ونصير مشابهين له في آلامه". يتابع لوثر، " لكن ان كنا نتشارك مع المسيح في آلامه، فهذا يتبعه المشاركة أيضا معه في المجد، كما قال الرسول بولس، "إن كنا نتألّم معه، لكي نتمجّد أيضًا معه" (روميه٨: ١٧).

في كتابه "تفسير كلفن للآلام الانسانية" يسلّط الكاتب، ثيودور ميخيما، الضوء على تفسير المصلح جان كلفن لآلام المسيحي. يبيّن الكاتب أن الاسئلة التي تطرحها الآلام من الصعب جدا الاجابة عنها. رأى كلفن، ان الألم يُفرض نفسه علينا فرضا، فلا أحد يختاره. لكن عندما نصاب به، علينا أن نتحمّله بصبر. فالصبر الحقيقي يمتحن في حالات الألم والتجارب. عرّف كلفن الصبر، على أنه ليس مجرّد الخضوع السلبي للضيقات والآلام، ولكن المحاولة الفاعلة للتغلّب عليها". قال، "يقسو الالم كثيرًا علينا عندما لا ننظر اليه من منظار أبدي". وأضاف، "المؤمنون غير بائسين في ضيقاتهم، لأن ضميرًا صالحًا يرافقهم ونهاية مباركة تنتظرهم. لهذا، تصبح الآلام مقبولة بالنسبة لهم".

يقدّم مارتن لوثر، نصيحة عملية لكل المتألمين، فيقول، "يجب ألاّ يركز المسيحي المتألم تفكيره بشكل متواصل على آلامه، ويغلق نفسه طويلاً في سجن الألم، لأن التركيز المتواصل عليه سوف يزيد من آلامه وتسوء حالته. اعتقد ان الموقف الأفضل، هو أن يقول لنفسه: "أنا لم أختر هذا الألم. ولم أسعى لهذا الصليب. لهذا، سوف أترك الأمر بين يدي الله، كيما يهتّم به ويصارعه، لأن الله الذي عرف مسبقًا، أني سأمر في هذه المرحلة الأليمة، قد وعدني بمعونته الإلهية".

اذ تحلّ الذكرى الثانية لهذه الجريمة النكراء، انفجار بل تفجير ٤ آب المشؤوم، الذي يتحمّل مسؤوليته كل من كان معنيا في ملف نيترات الأمونيوم في المرفأ. كل من أدخل هذه المواد المتفجّرة. كل من عرف بوجودها، وأهمل أو تقاعس عن اتخاذ الاجراءات الضرورية لتجنب حصول ما حصل، مهما علا شأنهم وكبر مقامهم. فكل المقامات والاعتبارات، تفقد قيمتها امام آلام وأوجاع الناس.

نريد ان نقول لكم يا أهالي ضحايا مجزرة ٤ آب، أننا نتضامن معكم، ولا يتضامن معكم فقط محبو الحقيقة والعدالة في الداخل والخارج، لكن يسوع المسيح الذي قد سبقكم في الألم، يتفهم آلامكم واوجاعكم. وهو أيضا متضامن معكم ومع كلّ المتألمين، وبقدراته الالهية يعزّيكم ويعينكم على تقبّل خسارة فقدان أهلكم واولادكم وأزواجكم وزوجاتكم من جراء ذلك الانفجار الهيروشيمي الوحشي الذي دمر نصف بيروت وسبّب بمقتل أكثر من ٢٢٠ ضحية، وآلاف الجرحى. كما أننا ندرك تماما، أنّ ما يضاعف من آلامكم هو مرور سنتين على هذا الزلزال الذي زلزل العالم، لكن للأسف لم يزلزل ضمائر مسؤولينا غير المسؤولين، ليسرعوا في تحقيق العدالة المكبّلة. العدالة هي من المكوّنات الأساسية للوطن. ودون عدالة لن يكون لدينا وطن آمن حرّ ومستقلّ. صلواتنا الى الله لأجلكم، يا أهالي ضحايا انفجار ٤ آب . قلوبنا معكم. عيوننا شاخصة اليكم، والى العدالة التي تنتظرونها وننتظرها معكم بفارغ الصبر، لخروج الحق الى النصرة.

القس سهيل سعود

اليأس الممنوع

جاء في أسطورة قديمة، أن الله أرسل ملاكه إلى الشيطان ليبلغه أنه سوف يجرّده من كل أساليبه الملتوية التي يستخدمها للتغلب على المؤمنين وإخضاعهم وتدميرهم. فتوسّل الشيطان الى الملاك طالبا منه أن يترك له أسلوبا واحدا فقط، قائلا: "دعني أحتفظ باليأس". وإذ ظنّ الملاك أن هذا الطلب بسيط، أبدى موافقته. عندها هتف الشيطان قائلاً: "بحصولي على هذا الطلب ضمنت كل شيء آخر". شبّه الشاعر الإيطالي دانتي، اليأس بالجحيم. دوّن في كتابه "الكوميديا الإلهية"، على باب الجحيم عبارة، "اهجروا الرجاء جميع الداخلين إلى هنا" .

تعاني الأغلبية الساحقة من اللبنانيين واللبنانيات في هذه الأيام الصعبة، من اليأس والكآبة والإحباط والشعور بالقرف والذلّ، بسبب الضيقات التي فرضتها الأوضاع السياسية المالية والاقتصادية والاجتماعية والانهيارات المتعددة الأوجه، التي أوصلنا اليها معظم قادة البلاد الذين فسدوا وأفسدوا وغطّوا الفساد والفاسدين. وصف أحدهم اختباره الشخصي بعدما مرّ في حالة من اليأس، قائلا: "اليأس إختبار تعس يخلّفك منهكا، ومتردّيًا في هوة عميقة قُطِع منها كل رجاء، فتشعر بأنك عالق في فخ ومحكوم عليك بسوء المصير... يا له من إختبار مروّع". عند اليأس، يخسر الانسان دوافعه للبقاء والاستمرار في الحياة. لليأس عوارض نفسية ومرضية، منها: غضب، إضطراب، خوف، إرتفاع في ضغط الدم، وجع رأس، تعب، نوم كثير، وغيرها من العوارض الكثيرة.

لماذا نشعر باليأس في وطننا الحبيب لبنان؟ نشعر باليأس عندما نرى بأمّ أعيننا، أنّ أحلامنا التي بنيناها لعيش حياة هانئة مطمئنة في وطننا تتكسّر. نيأس عندما نرى أنّ كل جنى عمرنا قد تبخّر بسبب فقدان عملتنا الوطنية لقيمتها، أو بسبب حجزها في البنوك. نيأس عندما نرى أننا لم نعد قادرين على تأمين الحليب لأطفالنا، والأدوية لأمراضنا. نيأس عندما تفقد حقنا في الحصول على الدولار الطالبي لتعليم أولادنا في الخارج، ولا نعود قادرين على تعليم أولادنا حتى في جامعات الداخل لصعوبة تامين أقساطهم بالدولار. نيأس عندما نرى أن المسؤولين عن تفجير ٤ آب الهيروشيمي الكارثي، لم تتمّ محاكماتهم، بسبب إيقاف التحقيقات القضائية. نيأس. ونيأس. ونيأس.

مما لا شكّ فيه أننا جميعا نمرّ في فترات من اليأس المعقول. لم ينج من اليأس المؤقت حتى أعظم الرسل والقديسين. يخبرنا الرسول بولس في رسالته الثانية الى كنيسة كورنثوس، عن ضيقات عظيمة واجهته عندما كان في آسيا، أوصلته الى حالة اليأس الشديد، حتى يئس من الحياة نفسها. قال للكورنثيين، "فإننا لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة، من جهة ضيقتنا التي أصابتنا في آسيا، أننا تثقّلنا جدا فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضا" (٢ كورنثوس ١: ٨). اطلق الرسول بولس على حالة اليأس المتقدمة، تسمية "حالة الموت". قال: "الذي نجّانا من موت مثل هذا. وهو ينجي، الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضًا فيما بعد" (٢كور١: ١٠). لكن بولس إختبر أنّ الإتكال على الله أخرجه من اليأس. لهذا نصح الكورنثيين بالإلتجاء الى الله، عندما يعانون من اليأس والضيقات. قال: "لكن كان لنا في أنفسنا حكم الموت، لكي لا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم الأموات" (٢ كورنثوس ١: ٩). آمن بولس أنّ الرجاء الذي ينبع من الله هو العلاج لليأس. قال في رسالته إلى كنيسة روميه، "لأننا بالرجاء خلصنا، لكن الرجاء المنظور ليس رجاء، لأن ما ينظره أحد، كيف يرجوه أيضا؟ ولكن ان كنا نرجو ما لسنا ننظره فإننا نتوقعه بالصبر" (رومية ٨: ٢٤و٢٥). إعتقد بولس أنّ الرجاء لا يأتي مما هو منظور. وهذا صحيح جدا في حالتنا المأساوية في وطننا الجريح لبنان. هل هذا الفساد والإهمال والسرقات والانهيارات الكثيرة تجعلنا نشعر بالرجاء؟ طبعا لا . يقول الرسول بولس، أنه من طبيعة الرجاء، أنه لا يستند على الحاضر المنظور والمعيون، بل يستند على المستقبل غير المرئي وغير المعيون. قال الفيلسوف اليوناني أفلاطون ،"ما لا يرى هو الحقيقة الوحيدة بل الأساس والأصل لكل الحقائق التي نراها".

إنّ ركيزة الرجاء المسيحي، ليست فقط قوة التفكير الايجابي أي رؤية الجزء الملآن من كوب الماء، الأمر الذي هو ضروري جدا في هذه الأيام، لا سيما أننا نعيش في وطن جميل، والسياحة مزدهرة في معظم مناطقنا اللبنانية. لكن ركيزة الرجاء، هو الإيمان بالله القادر أن يغيّر حاضر وطننا ويمنحنا مستقبلا أفضل. عرّف الفيلسوف اليوناني أرسطو، الرجاءَ على أنه "حلمُ اليقظة". نعم الرجاء حلمٌ، لكن ليس حلم النائمين اللاواعين، بل حلم المستيقظين الذين يجرأون على الحلم وهم مدركون بأن حلمهم سيتحقق في المستقبل. فالذين لا يحلمون بمستقبل أفضل لن ينالوه. يشهد التاريخ أنّ كل التغييرات الأساسية التي حدثت في العالم كان وراءها أناسا إستطاعوا أن يحلموا بالتغيير. يتضمّن الرجاء قوة فاعلة دافعة محرّكة خلاّقة، تدفعنا للمشاركة في التغيير، كل في مجاله وحسب طاقته.

يذكر اللاهوتي الألماني المعاصر، يورغن مولتمان، "أن هناك علاقة لا تنفصل بين الإيمان والرجاء. الإيمان يربط الإنسان بالله في الحاضر، أما الرجاء فهو يطلق الإنسان نحو المستقبل. الإيمان يضع الإنسان على الطريق نحو الله، والرجاء يحفظ الإنسان في الطريق . الرجاء يمنح الإنسان المؤمن البصيرة الروحية لكي يرى ما لا يستطيع ان يراه بالعين المجردة. الرجاء لا يستسلم للحاضر المرئي بل يتمرّد على الحاضر ويشق طريقه وسط صعوبات الحاضر، ليتطلّع إلى مستقبل أفضل تحت رعاية الله. الرجاء لا يقبل بالأمور كما هي، بل يراها: تتغير، تتحرك، تتطور. الرجاء يرى إمكانات جديدة للتغيير". لهذا، فإنه إستنادا الى هذين المبدأين الأساسيين: الأول، الإيمان بالله القادر على كل شيء. والثاني، الرجاء بالتغيير والمشاركة في بناء وطن أفضل، اليأس ممنوع.

القس سهيل سعود

اليأس: سلاح الموت

جاء في أسطورة قديمة أن الله أرسل ملاكه إلى إبليس ليخبره بأنه سوف يجرّده من كل أساليبه التي يستخدمها ليتغلب على الناس المؤمنين. فتوسّل إبليس إليه، لكي يترك له أسلوبا واحدا، قائلا له: "دعني أحتفظ باليأس". وإذ ظنّ الملاك أن هذا الطلب بسيط أبدى موافقته، هتف إبليس قائلاً: "عظيم جدا !". ثمّ ضحك قائلا "بحصولي على هذا الطلب ضمنت كل شيء آخر". صحيح أن هذه القصة هي أسطورة، إلاّ أن العبرة منها، هي أن اليأس يقضي على حياة الناس وحيويتهم. شبّه الشاعر الإيطالي دانتي، غياب الرجاء واليأس، بالجحيم. دوّن في كتابه الكوميديا الإلهية، على باب الجحيم عبارة، "اهجروا الرجاء جميع الداخلين إلى هنا" . وصف أحد الذين مرّوا في حالة من اليأس إختباره، فقال: "اليأس إختبار تعس يخلّفك منهكا، ومترديًا في هوة عميقة قُطِع منها كل رجاء، فتشعر بأنك عالق في فخ ومحكوم عليك بسوء المصير... يا له من إختبار مروّع". جميعنا نمّر في أوقات عابرة من اليأس، وهذه حالة إنسانية عادية، إلاّ انّ الخطر الكبير هو عندما يتمكّن اليأس منا، ويدفعنا الى إتّخاذ خطوات، قد تشكّل خطرا على حياتنا.

في كتابه "بحث لوثر عن الشفاء"، أظهر الكاتب وليم جايمس، أن المصلح مارتن لوثر كان يحاول جاهدا أن يتحرّر مما وصفه القديس يوحنا الصليب "ليلة النفس السوداء"، ليصل الى الشفاء. أطلق لوثر، على مشاعر الخوف واليأس والشك والشعور بالذنب، تسمية "أسلحة الموت"، بل شياطين الموت. رأى أن تلك المشاعر تجعل الانسان اليائس يلامس الموت، بقوتها السوداوية اذ تفرض نفسها علينا. قال: "إنّ أسلحة الموت هذه، تجعلنا فريسة للقلق والاضطراب، أكثر من أي عدو شخصي". لخّص المؤرخ جايمس كيتلسون، كاتب سيرة مارتن لوثر الشخصية، عمل لوثر ، بقوله، "إن مهمّة لوثر الأولى، كانت أن يريح ضمائر المؤمنين المضطربة. فاختباره مع اضطراب ضميره الشخصي الذي تعذّب في السياق الديني الذي عاش فيه، ساعده كي يحرّر الآخرين من هذا العذاب من خلال الانجيل".

للأسف، نعيش اليوم في وطننا الجريح لبنان في جحيم اليأس، الذي وضعنا فيه المنظومة الفاسدة والمفسدة والتي تحمي الفساد منذ سنين عديدة. إنّ أسلحة الموت من يأس وإحباط وكآبة وفقر، التي شهرها حكامنا ومسؤولونا الفاشلين في وجه مواطنيهم بإفقارهم وتيئيسهم وسرقة أموالهم، هي المسؤولة عن تلك الكارثة المشؤومة، التي ألمّت بمواطنينا في طرابلس الفيحاء. سمعنا الناجون يقولون: "لم نعد نستطيع البقاء في بلدنا، بعد أن سرقوا منا كل أمل ورجاء، ولم يتركوا لنا شيء لنعيش فيه بكرامة".

فإننا، إذ نتقدم من أهالينا الكرام المفجوعين في طرابلس الفيحاء، بالتعازي القلبية على مصابهم الأليم، ونطلب من الباري تعالى أن يرافقهم ويسدّد خطاهم برحمته الواسعة، فإننا ندعوهم وندعو جميع اللبنانيين الى مواجهة حاضرنا المرير في لبنان بالرجاء، لأن الرجاء يخلّص من اليأس والقنوط. قال الفيلسوف اليوناني أفلاطون، "ما لا يرى هو الحقيقة الوحيدة بل الأساس والأصل لكل الحقائق التي نراها". من طبيعة الرجاء انه لا يستند على الحاضر المرئي والمنظور بل الى المستقبل غير المرئي وغير المنظور. إنّ ركيزة هذا الرجاء ليست فقط قوة التفكير الايجابي أي رؤية الجزء الملآن من كوب الماء، مع أن هذه النظرة ضرورية، لكن ركيزة هذا الرجاء هو الإيمان بالله القادر أن يغير الحاضر ويمنح، شعبنا وبلادنا مستقبلا أفضل. يذكر المفكر الانجيلي يورغن مولتمان، "أن هناك علاقة لا تنفصل بين الإيمان والرجاء. الإيمان يربط الإنسان بالله في الحاضر، أما الرجاء فهو يطلق الإنسان نحو المستقبل. الإيمان يضع الإنسان على الطريق نحو الله، والرجاء يحفظ الإنسان في الطريق. الرجاء لا يستسلم للحاضر المرئي بل يتمرد على الحاضر ويشق طريقه وسط صعوبات الحاضر ،ليتطلع إلى مستقبل أفضل تحت رعاية الله. الرجاء لا يقبل بالأمور كما هي بل يراها تتغير، تتحرك، وتتطور. الرجاء يرى إمكانات وفرص جديدة للتغيير. وهذا ما نرجوه في يوم الاستحقاق الوطني، من خلال صناديق الاقتراع في ١٥ أيار.

القس سهيل سعود

اليوم العالمي للأخوّة الانسانية
محبة صورة الله في الانسان الآخر

في كتابه، "أسس الايمان المسيحي"، يذكر المصلح جان كلفن، "إن ما يجب أن نحب في الناس الآخرين، هي صورة الله فيهم". قال، "يجب ألاّ نعتبر أن الناس بذاتهم يستحقّون أن يحبّوا، لكننا يجب أن نرى صورة الله في كل الناس، فنقدّم لهم كل الاكرام والمحبة". وأضاف، "فقط من مخافة الله، تنبع المحبة للانسان". آمن كلفن، أن الايمان بالمسيح، يجب أن يكون لديه نتائج ملموسة على علاقتنا مع بعضنا البعض. قال، "يجب أولا أن تمتلىء نفوسنا كليا من محبة الله، لأنه من هذه المحبة ستتدفّق، بشكل عفوي ومباشر، محبتنا نحو القريب".

في تعليقه، على قول البشير يوحنا، "وكان متّكئا في حضن يسوع، واحد من تلاميذه، كان يسوع يحبّه" (يوحنا ١٣: ٢٣)، قال كلفن، " يتعلّق كل شيء بكون أنّ محبتنا موجّهة باتجاه الله، ومنها باتجاه كل انسان بمقدار تفوّقه في مواهب الله". ذكر في إحدى عظاته، " يجب أن تنسجم حياتنا مع ارادة الله، ومتطلبات وصاياه، التي تثمر في كل اتجاه مع إخوتنا...يجب أن نسعى الى المحبة، والى بنيان قريبنا في كل الأوقات". وفي تعليقه على قول الرسول بولس، "لأن كل الناموس في كلمة واحدة يكمل، تحب قريبك كنفسك" (غلاطية ٥: ١٤)، ربط كلفن بين محبة الله ومحبة القريب، قال، "كما أن الله نفسه لا يرى، فان التقوى هي أيضا أمر خفي عن الحواس البشرية. لهذا، فان الله يريد أن يمتحن محبتنا له من خلال محبتنا لأخينا القريب، الذي هو يوصينا فيه. شدّد كلفن، على قول الرسول بولس، ان المحبة هي تكميل للناموس، "المحبة لا تصنع شرا للقريب، فالمحبة هي تكميل الناموس"(رومية ١٣: ١٠)، وذلك ليس لأنها أسمى من عبادة الله، لكن لأنها دليل على عبادة الله. فالله الذي لا يرى، يمثّل نفسه لنا في القريب الآخر، وفي حاجاتهم الشخصية، كما لو أنها حاجات الله.

في عظته حول قول سفر التثنية، "الغريب واليتيم والأرملة الذين عندك" (تثنية ١٦: ١١) ، توقف كلفن عند عبارة "الذين عندك"، ليقول بأن الاهتمام والرعاية والمساعدة للفقراء، هي مسؤولية شخصية لأنهم موجودون عندك. قال، "أن أي إنسان تلتقي به بحاجة إلى مساعدتك، ليس لك الحق أن ترفض مساعدته. فاذا ما اعتبرت أنه غريب، تذكّر أن الله أعطاه علامة يجب أن تكون معروفة لديك، اذ منعك الله أن تتغاضى عن لحمك (اشعياء ٥٨:٧). واذا ما اعتبرت أنه محتقر وبلا قيمة، تذكّر أن الله أظهره، بأنه أحد الذين منحهم جمال صورته. واذا ما اعتبرت أنك غير مجبر بأن تقدم أي خدمة له، تذكّر أن الله وضعه في حالته، كيما تدرك البركات الكثيرة التي أغدقها عليك. واذا ما اعتبرت أنه لا يستحق أقل جهودك، تذكّر أن صورة الله فيه ، تجعله مستحقًا لاعطاء نفسك وكل أملاكك".

وفي تفسيره لكلمات النبي أشعياء حول ماهية الصوم الحقيقي، "أليس هذا صومًا اختاره حل قيود الشر، فك عقد النير وإطلاق المأسورين أحرارًا. وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عريانًا أن تكسوه، وأن لا تتغاضى عن لحمك" (أشعياء ٥٨ :٦-٧)، قال كلفن، " إذا ما رفضت مساعدة المحتاج بكسر خبزك للجائع، وإدخال المسكين التائه إلى بيتك وإكساء العريان وعدم التغاضي عن لحمك"، فهذا خير دليل على عدم انسانيتك، لأن عدم انسانيتك، تتجسد في احتقار أولئك الذين نرى فيهم صورة الله شبهنا. دعا كلفن، أن يعمل كل انسان لأجل جاره وليس لأجل منفعته الشخصية، لأن الله سوف يفرح في مجتمع يسعى فيه كل انسان من أجل خير إخوته وأخواته في الانسانية. وهكذا أزال كلفن كل الحدود والقيود التي تفصل بين البشرية، ودعا إلى الانصاف في تعامل الناس مع بعضهم البعض، وإلى تحقيق كل إنسان لدوره بحسب مشيئة الله. في اليوم العالمي للأخوة الانسانية، وفي هذا الظروف الصعبة والاجراءات غير الانسانية، التي تتخّذ بحق مواطنينا اللبنانيين المعذّبين على مختلف الأصعدة، الصحية والاجتماعية والاقتصادية والنفسية، نحن مدعوون لأننا نتذكّر أن كلا منهم يحمل صورة الله فيه. وهذا ما يدعونا للوقوف الى جانبهم وتقديم كل عون ممكن لهم.

القس سهيل سعود

بمناسبة اليوم العالمي للصحة النفسية

يعرّف الفيلسوف اليوناني أفلاطون، "النفس" في الانسان، على أنها "الكيان الداخلي، الذي يتمتع بالادراك، وله القدرة على التنظيم والعقلنة بحريّة، وللانسان وحده امكانية الوصول إليها". قال، "تتعمّق معرفتنا عن أنفسنا، عند التواصل بصدق مع أنفسنا ومع الآخرين". أما القديس أوغسطينوس، فقد اعتقد، أن النفس، "هي منظومة الفكر التي تحكم الجسد". ورينهارد شينيزكا عرّف "النفس" على أنها، " ذلك الوعي واللاوعي، اللذان يحرّكان تفكير الانسان ومشاعره ورغباته". وعالم النفس كارل روجرز، رأى في تعبير "النفس"، اشارة الى المعتقدات والمعلومات التي للإنسان، حول طبيعته وسلوكه وفرادته.

تدعو هيلن كالار، الى العناية بصحة نفوسنا والتعاطي معها، بلطف وحكمة ودراية. من الأمور التي تحذّر منها بقوة، الشفقة على النفس. تقول، "عدوّنا الأسوأ هو الشفقة على النفس. وإذا ما إستسلمنا لذلك، فاننا لن نستطيع أن نقوم بأيّ شيء حكيم في هذا العالم". وتضيف، "الشفقة على النفس تعكس نظرة دونية الى النفس، التي تستغيث ملتمسة من يشفق عليها. الشفقة على النفس، تعني الإرتباط بشكل لا ينفصل بما حدث معنا في الماضي، بل البقاء في الماضي وفي ذهنيّة الماضي، وهذا ما يؤدي الى انفصالنا: عن نفوسنا، وعن الآخرين من العائلة والأصدقاء". قال أحد المفكرين، "الانتقاد الكثير للنفس، يقود الى تمرّد داخلي، بينما التعامل برفق معها يمنحها الرجاء للتغيير".

يعتقد المعالجون النفسيون، أن الشفقة على النفس، هي رفض الانسان لتحمّل المسؤولية عن قرارته في اللاوعي الإنساني. وهي تعتبر وسيلة جبانة للدفاع عن النفس. يقول الكاتب جون غاردنر: "الشفقة على النفس، تعكس عدم قدرة الانسان على قبول الوضع المستجد في حياته، فيركّز بشكل دائم على صعوباته، ويشعر أنه ضحية، ويصاب بالعجز الكلّي عن التفكير السليم. انها الحالة الأكثر تدميرًا للإنسان". عندما استشهد الرسول بولس بوصية المسيح، قائلا: " أن تحب قريبك كنفسك". فانه أضاف عبارة أخرى هي، "أن المحبة لا تصنع شرًا للقريب" (روميه١٣: ٩-١٠). فكما أن المحبة لا تصنع شرا للقريب، فهي أيضا لا تصنع شرا للنفس، ولا تضرها أو تؤذيها. بقوله هذا يدعو بولس مؤمني ومؤمنات الكنيسة، الى الاهتمام بحالاتهم وحاجاتهم النفسية، كاهتمامهم بحاجات القريب. وهذا يعني، التعامل مع نفوسنا باحترام، وبطريقة بنّاءة وعادلة ومتوازنة، وبناء للحقيقة. وهذا ما يؤهلنا لمواجهة الحياة. ان تحقيق الانجازات والعظمة والوصول الى المراكز والمناصب، لا يمنح النفوس شعورا حقيقيا بالأمان والرضى، بل يمنحها شعورًا مزيفًا. لكن عندما نتخلّى عن حياتنا المزيفة، نكتشف عندها المعنى الحقيقي للحياة. قال الفيلسوف واللاهوتي سيرين كيركغارد: الشكل الأعمق من اليأس، أن تختار أن تكون على غير حقيقتك. فإرادتك أن تكون على حقيقتك هو عكس اليأس".

أن تعتني بنفسك، يعني ان تحترمها . أن تعمل على بناء ثقتك بها، كانسان فريد مخلوق على صورة الله، وأن لا تقارن نفسك بالآخرين، وأن لا تدع ما يفكر به الآخرون عنك، يؤثر على نظرتك الى نفسك، بل أن تعبّر عن رأيك، وعمّا يجول في فكرك بحرية ومسؤولية. أن تعتني بنفسك، يعني أن تعتني بصحة جسدك بشكل أفضل. تقول الكاتبة كريستين ناف، تعلّم "أن تصغي لجسدك. فان لجسدك متطلبات عليك، فاحرص أن تحقّقها". فمحبة النفس، تخلق حالة ديناميكية، تمنح قوة وايجابية تؤثّر، على كل جوانب حياة الانسان، الروحية والنفسية، والجسدية.

اذ احتفل العالم في ١٠ تشرين الأول، في اليوم العالمي للصحة النفسية، نحن مدعوون أن نعير صحتنا النفسية والعقلية والجسدية اهتماما خاصا، كيما نستطيع الثبات والاستمرار بعافية، وسط العديد من الضغوطات النفسية والاقتصادية والاجتماعية التي نواجهها في وطننا الحبيب لبنان.

القس سهيل سعود

بونهوفر: نحو لاهوت بيئي علمانيّ

دعا اللاهوتي الانجيلي الألماني الذي عاش في القرن العشرين، ديتريش بونهوفر (١٩٤٥-١٩٠٦) الى تفسير لاهوتي للطبيعة، كنوع من لاهوت أسراري، يركّز على انخراط الله في الطبيعة، ويحثّ الناس الى تحمّل المسؤولية الأخلاقية للعناية بالبيئة خليقة الله. لا يحاول بونهوفر، تقديم لاهوت تقليدي كما يفعل الكثير من اللاهوتيين اليوم، بأن نكون مجرّد مؤتمنين على خليقة الله الطبيعة وأن نعتني بها، وانما ينظر الى الطبيعة كونها جزءا لا يتجزأ من نظام بيئي أوسع، كون أنها تتشارك معنا في هذا الحقل المشترك، بين الله والانسانية والطبيعة. كعادته، شدّد بونهوفر على البعد الكريستولوجي في لاهوته البيئي. قال "نحن نعرف ببركة الله على كل الحياة الطبيعية، بسبب حضور الطبيعة البشرية في شخص يسوع المسيح. فهذه المعرفة تكشف عن التاريخ الطبيعي لعمل الكلمة الالهية اللوغوس، في الخليقة نفسها"، كما قال الرسول بولس، "فانه فيه خلق الكلّ: ما في السموات، وما على الأرض . ما يرى وما لا يرى، سواء كان عروشا أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكلّ به وله قد خلق" (كولوسي ١: ١٦). آمن بونهوفر، أن يسوع المسيح حاضر كمحور الطبيعة، قال، "الطبيعة في المسيح، تنخرط مع الانسانية، وتصبح عطية الله الخالق".

في كتاباته حول الطبيعة، قدّم بونهوفر منهجًا لاهوتيًا للطبيعة غير الانسانية، واقترح تفسيرا مسيحيا للاهوت علماني جديد، يحثّ كل الناس مهما كانت خلفياتهم الدينية والعرقية والثقافية، للعناية بالبيئة. دعا الكنيسة الى المساهمة في تفسير علماني للمفاهيم الانجيلية الكتابية حول الطبيعة، كيما يعيد اطلاق العلاقة الصحيحة بين الناس، وحياة الطبيعة. دعا الى عدم الفصل بين الانسانية والطبيعة، بل وضع الانسانية في الطبيعة، مؤكّدا أن الاثنين: الانسانية والطبيعة، قد تشكّلا بحضور الله في الخليقة. ان دعوة بونهوفر هذه، هي مساهمة هامة في لاهوت حديث ناقد، يجذب الكنيسة الى وسط العالم.

تحدّث بونهوفر عن بركة الله، ليصف كل العطايا الأرضية التي ننعم بها. قال، "في البركة، نقرّ ونؤكّد، أن كل الحياة الأرضية، تأتي من الله. تنتمي هذه البركة الى الحياة نفسها". شدّد بونهوفر على الاستقلالية في حرية، تلك الحياة الطبيعية. أثناء تفسيره، في كتابه "الخليقة والسقوط" ، لما ورد في سفر التكوين، "وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلّطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض وعلى جميع الدابات التي تدب على الأرض. فخلق الله الانسان على صورته. على صورة الله خلقه، ذكرًا وأنثى خلقهم" (تكوين١: ٢٦و٢٧). تحدّث بونهوفر عن انتظام طبيعي اجتماعي، من خلال هذا الحقل المشترك بين الله والانسانية والطبيعة، وقال، "أن الله اختار هذه الطريقة ليكون فيها مع خليقته". مما ذكره بونهوفر، "أن الله أسّس السمة الاجتماعية للحياة الانسانية، على أنها مظهر من مظاهر بركات الله". وأضاف، "لا يمكن أن نقارن هكذا بركة مع النعمة الالهية المخلّصة للانسان، اذ ليست الطبيعة نقيض للنعمة. ويجب ألاّ يعتّم على الطبيعة بانتصار النعمة".

آمن ديتريش بونهوفر، بمبدأ "حرّية الوجود من أجل الآخر". رأى تشابها عمليا في هذا المبدأ، بين الله والانسان. تحدّث، عن حرية الله لأجل الانسان، في المسيح يسوع. قال، "ليس هناك أي جزء أو مظهر من الانسانية يمكن أن يشبه الله، أكثر من مبدأ ،"حرّية الوجود من أجل الآخر ". فهذه الكينونة من أجل الانسان في المسيح، هو شكل حضور الله الذي ينسجم مع صورته في الانسانية، كيما يكون المخلوق على صورة الخالق، ويوجد من أجل الآخر".

القس سهيل سعود

تأملات في هول الفراغ

من أكثر المواضيع التي يتمّ التداول بها في هذه الفترة، بقرب انتهاء مدة رئاسة الجمهورية، موضوع الفراغ. يطرح هذا الموضوع نفسه، في وقت دقيق جدا يمرّ فيه لبنانا الحبيب. وما أدراك ما يحدث في الفراغ؟ وما أدراك ما ومن يملأ الفراغ؟ في حين أن هناك بعض الأصوات المؤثّرة التي تدعو الى تجنّب الفراغ، فاننا لا نرى جدية في التعاطي مع الموضوع، وكأن الفراغ هو مطلب شريحة من النواب والسياسيين.

الفراغ هو من أكثر الأمور المرعبة للإنسان. الفراغ في الرئاسة. الفراغ في الحياة. وكل أشكال الفراغ. هناك قول يوناني قديم مفاده: "الطبيعة ترتعب من الفراغ". إستخدم هذا التعبير في العالم القديم، بارتباطه بالفيزياء، وذلك لوصف كيف أن الفسحة الفارغة أو المساحة غير المملؤة، أمر تكرهه الطبيعة، لأنه يناقض قوانينها. من طبيعة الطبيعة، أنها لا تحتمل أي فراغ. لهذا، تملأه مباشرة بشيء ما .بحسب الفكر الإغريقي، الفراغ هو اللاشيء، إنه العدم. إعتقد الفيلسوف أفلاطون، أنه لا يمكن القول، أن اللاشيء هو أمر موجود. وبالتالي، الفراغ هو غياب الفكر، غياب المشاعر، وغياب القرار. أما الفيلسوف أرسطو، فقد قال، "يجب ألاّ يوجد الفراغ في الطبيعة، لأنه ان وجد فهو يخلق رعبًا نفسيًا، وشكوكًا، وقلقًا، وخوفًا، وعدم ثقة في النفس". اعتقد الراهب فرنسوا رابليه، الذي عاش في القرن السادس عشر، وكان عالم فيزياء، أن قول "الطبيعة ترتعب من الفراغ"، هو مثل لاتيني، يشير إلى خطورة الفراغ في أي شيء في الحياة. وفي نفس السياق، تحدّث الطبيب النفسي، الدكتور ليون سيلتزر عن موضوع الرعب من الفراغ، من زاوية الطبيعة البشرية. اعتقد أن خطورة الفراغ تكمن في امكانية، اسراع طبيعتنا البشرية الى ملءه، بالكثير من الأمور العدمية، من أفكار اعتباطية، وأحكام متسرعة، تقودنا الى الوحدة والكآبة واليأس. لهذا رأى الدكتور سيلتزر، بأن على البشر أن يعملوا كل ما في وسعهم، لتجنّب الفراغ في الحياة. عليهم أن يركزوا على نوعية ما يستوردوا من الأمور الايجابية، إلى نفوسهم وحياتهم، ليشعروا أنهم وحدة متكاملة ومنسجمة .

ان ما ينسحب على رعب الطبيعة من الفراغ، ينسحب أيضا على رعب الانسان من الفراغ، في حياته النفسية والروحية. عندما يشعر الانسان بالفراغ الداخلي، فهو يشعر أنه مهجور ومتروك، ليس فقط من أصدقائه، ولكن حتى من نفسه. عرّفت الكاتبة هانا أرنوت، حالة الانسان الذي يشعر بالفراغ، على أنه "يجد صعوبة في التواجد مع نفسه. يجد نفسه محاطًا بأناس، لا يستطيع التواصل ولا إقامة علاقات معهم. فالذي يشعر بالفراغ، يرى نفسه سجينًا لمشاعره الدفينة المؤلمة. ان أقسى أنواع الفراغ ، هو الذي يحدث من جرّاء خسارة الأهل لأحد أفراد العائلة، مثل ابنه أو ابنته، كون أن هذا يحدث بعكس التوقعات الطبيعية، لأن التسلسل الطبيعي هو أن الأهل يرحلوا قبل أولادهم. لكن أن يرحل الأولاد قبل الأهل، فانّ هذا يخلق فراغا قاتلا، وعدمية ما بعدها عدمية.

أما على الصعيد الروحي، يعاني الكثير من الناس في عالم اليوم فراغا روحيا كبيرا، لأن الفلسفات المادية والاستهلاكية وغيرها، قد أخرجت الله من الحياة، فصار يعيش الإنسان في فراغ روحي كبير. إعتقد المصلح جان كلفن، أن الطبيعة البشرية هي مصنع دائم للأوثان. فإذا لم ينفتح الانسان لعمل الله في حياته، كيما يملأه بحضوره فيه ومعه، فإنه سرعان ما ستملأه الطبيعة بالأوثان العدمية. نرى مثالا على ذلك ما فعله الشعب العبري أثناء ترك النبي موسى لهم لبعض الوقت. يخبرنا سفر الخروج، أنه ما ان ترك النبي موسى الشعب، وصعد الى الجبل ليلتقي الله، ليجلب منه لهم الوصايا العشر، حتى جمع الشعب العبري أقراط الذهب من نسائهم، وصنّعوا منها عجلا مسبوكا، وقالوا لها، "هذه آلهتك يا اسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، وسجدوا لها" (خروج ٣٢: ٣-٦). قال الله في الوصيتين الأوليتين من الوصايا العشر: "أنا الرب إلهك. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك: تمثالاً منحوتًا ولا صورة ما، مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهن ولا تعبدهن، لأني أنا الرب إلهك إله غيور" (خروج٢٠: ٢-٥). صلّى القديس أوغسطينوس، قائلاً: "يا الله لقد خلقت فينا فراغًا روحيا، ولن يملأه أحد إلاّ حضورك فينا".

جنّبنا يا رب، بطرقك الخلاّقة عبر البشر كأس الفراغ الرئاسي، وكل فراغ آخر في حياتنا النفسية والروحية، واحفظ وطننا الحبيب لبنان بمراحمك السماوية.

القس سهيل سعود

تعلّموا من المسيح، كيف تضعون برنامج عملكم

بعد إنتخاب مجلس نيابي جديد، تسلّط أضواء اللبنانيين والعالم، على أيّ برنامج عمل تشريعي وتنفيذي سيضعه النواب ومجلس الوزراء، إخراج لبنان واللبنانيين من هذه الضائقة الكبيرة، التي يمرّون فيها. لهذا، كيما يكون برنامج عملكم، فاعلا وعمليا يلامس حاجات الناس وسط كثرة الأولويات، فإني أقترح عليكم ان تتعلموا من المسيح، كيف تضعون برنامج عملكم، وتحدّدوا الأهداف التي تريدون تحقيقها.

يخبرنا إنجيل لوقا أن المسيح، في بداية خدمته، دخل المجمع في مدينة الناصرة حيث تربى. وقرأ من سفر أشعياء، برنامج العمل التالي: فقال "روح الرب عليّ لأنه مسحني: لأبشر المساكين، أرسلني لأشفي المنكسري القلوب، لأنادي للمأسورين بالاطلاق، وللعمي بالبصر، وأرسل المنسحقين في الحرية ، وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لوقا ٤: ١٨-١٩). تضمّن برنامج عمل المسيح: بشارة للمساكين. شفاء لمنكسري القلوب. إطلاق للمأسورين. إعادة البصر للعمي. تحرير للمنسحقين. والكرازة بسنة الرب المقبولة. من برنامج العمل هذا، نكتشف طبيعة خدمة المسيح، التي لم توّجه فقط الى الجانب الروحي من حياة الانسان، أي تصحيح علاقته الروحية مع الله، وإنما تشمل كل الانسان، بجوانبه الروحية والنفسية والاجتماعية.

من أهم مكوّنات ارسالية المسيح، المكوّن الأول، الذي هو نقل البشارة، أو الخبر السار عن محبة الله وخلاصه للمساكين. تعني كلمة "مسكين" بالأصل اليوناني "فقير". تحمل هذه الكلمة معنيين: الأول ، "الفقير في المادة والمال". والثاني، "الفقير في الروح". بالنسبة للمعنى الأول ، يخصّص البشير لوقا مساحة هامة في انجيله ليتحدث عن رسالة الله للفقراء ماليا واقتصاديا، وذلك ليس لأن رسالة الله غير موجّهة للأغنياء، وانما لأن الفقراء اقتصاديا، يميلون الى الاعتماد على الله وإلقاء رجائهم عليه أكثر من الأغنياء . فتجاوب الفقراء مع الانجيل هو بالاجمال أسرع وأسهل من تجاوب الكثير من الأغنياء. أما بالنسبة لكلمة "مسكين" أو "فقير" في المعنى الروحي، فان الفقير في الروح، هو الذي يؤمن بأنه مفلس روحيا أمام الله ، وهو لا يملك أي غنى، لا في حياته الأخلاقية ولا في انجازاته، بل كل غناه هو في الله، الذي بحضوره معه يفيض عليه بركاته ويثري حياته .

المكوّن الثاني : شفاء القلوب المنكسرة، القلوب التي تعرّضت للحزن والألم والضيق . فكلام المسيح وحضور الله يلبسم الجراح ويشفي القلوب وما أكثر القلوب المنكسرة في هذه الأيام، لا سيما قلوب أهالي ضحايا ٤ آب، وكل أنواع المنكسري القلوب، الذن إما فقدوا أولادهم، أو رزق عيشهم، أو تعويضاتهم، بسبب الأزمة المالية، ووضع البنك المركزي يده على أموال الناس، في هذا الوطن الحبيب الجريح.

المكوّن الثالث: اطلاق المأسورين، وارسال المنسحقين في الحرية. في هذا المكوّن، يظهر إهتمام المسيح في حياة أولاده في المجتمع . لقد اعترض المسيح على كل أنواع الأسر والظلم والاستبداد الروحي والاجتماعي. لكن لهذا المكوّن وجه روحي أيضا، يأخذ المكانة الأولى، في برنامج عمل المسيح . فالمعنى الروحي "للإطلاق من الأسر"، هو إطلاق من أسر الخطية، التي تكبّلنا وتأسر فكرنا وحياتنا وإرادتنا بسلطانها القوي علينا. إن نفس الكلمة اليونانية، التي تستخدم لوصف عملية إطلاق الأسير من الأسر، تستخدم أيضا لوصف، غفران الخطايا أو تحرير الخاطىء من أسر الخطية له.

المكوّن الرابع، هو المناداة بالبصر للعمي . وقد رأينا في الأناجيل كم من العميان شفاهم المسيح وأعاد إليهم بصرهم. وكم الحاجة كبيرة في هذا الأيام للإدوية، وسط فقدانها وإحتكارها. لم يقصد المسيح بالعميان فقط الذي فقدوا قدرتهم على الرؤية، لكنه قصد أيضا أولئك الذين فقدوا البصيرة الروحية، فلم يعودوا قادرين على رؤية عمل وقوة الله، بالرغم من عيونهم المنفتحة. بعد إعلان المسيح عن برنامج عمله هذا، أغلق سفر أشعياء النبي وقال لهم:" اليوم، قد تمّ هذا المكتوب في مسامعكم" (لوقا ٤: ٢١).

في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ بلادنا ، وإذ أصبح المساكين والفقراء والمنسحقين والنكسري القلوب، كثر. فيا ليت نوابنا، والحكومة العتيدة، يقلّدون المسيح في وضع برنامج عملهم، ليخفّفوا من أوجاع وآلام الناس، وكيما يتحقّق التغيير الذي نطمح إليه ليكون لنا لبنانا أفضل بمشيئة الله، ونعمة القدير.

القس سهيل سعود

حاجة الفقراء للشعور بالأمان

منذ بعض السنين، صدر تقرير إحصائيّ حول حالة الفقر، وعدم المساواة في توزيع الثروة في العالم ، جاء فيه ما يلي: المدخول السنوي لأثرياء العالم الذين يبلغون نسبة ١ % من السكّان، يساوي مدخول ٥٧ % من مدخول فقراء العالم. هناك أربع وعشرون إنسانا يموتون يوميًّا، من الفقر، وسوء التغذية، والأمراض المرافقة لها". ويذكر الكاتب جاك أتلي في كتابه "الحياة الإنسانيَّة" الذي صدر عام ٢٠١٢، "أنَّ نصف تجارة العالم واستثماراته، يستفيد منها ٢٢ بلدًا فقط، أي ١٤ % من سكَّان العالم. و٤٩ % من البلدان الفقيرة، أي ما يساوي نسبة ١١ % من سكَّان العالم، تستفيد بنسبة ٠,٥ % من الإنتاج العالمي، والذي يساوي مدخول ٣ أشخاص من أكثر أثرياء العالم ثراءً". وبالتالي، هذه التقارير تعطينا فكرة عن أعداد الفقراء المتزايدة في العالم، كما في وطني لبنان، والذين هم بحاجة ماسة للمساعدة.

يقارن سليمان الحكيم في عدد من أمثاله، بين الوضع النفسي الذي يعيش فيه الغني والوضع النفسي الذي يعيش فيه الفقير، فيقول: "ثروة الغني مدينته الحصينة، هلاك المساكين فقرهم" (أمثال١٠: ١٥). يعني هذا القول، أن الإنسان الذي لديه مال أو ثروة، فانه يشعر وكأنه محصّن، محمي، فيعيش في معنويات مرتفعة وكانه يعيش في مدينة حصينة. وفي قول آخر، يزيد كاتب سفر الأمثال من نسبة الأمان الذي يشعر فيه الغني، فيقول: "ثروة الغني مدينته الحصينة، ومثل سور عالٍ في تصوّره" (أمثال١٨: ١١). هذا يعني أن ثروة الغني تشعره، وكأنه يقف وراء سور كبير صلب يقيه من هجوم جيش الفقر عليه. ان مال الغني يشعره بالأمان، لأنه يدرك أنه لن يجوع، لن يذلّ لن يحتاج لأحد ولن يضطر للاستجداء من الناس، الدواء وايجار منزله ولقمة عيشه، كما يحصل للأسف مع بعض اللبنانيين اليوم. أيضا يقول كاتب سفر الأمثال أن الغني تكثر أصحابه، اذ يقول: "محبّو الغني كثيرون" (أمثال١٤: ٢٠). وأيضا، "الغني يكثر الأصحاب" (أمثال١٩: ٤). أما الفقير، يقول سليمان الحكيم، أنه يشعر بالهلاك، "هلاك المساكين فقرهم"(أمثال١٠: ١٥). ان كلمة مسكين هي باللغة الأصلية، ترجمة لكلمة "فقير". وبالتالي، فالفقر يهلك صاحبه، لأنه يفقده الشعور بالأمان، والاستقرار النفسي والراحة الضرورية ليعيش حياة ترضيه، بل أن حالة الفقر تعرّضه لكل أنواع التجارب والاغراءات التي تدفعه الى الانحراف، والسكر والقيام بأعمال غير مستحبّة. يذكر كاتب الأمثال: "أعطوا مسكرًا لهالك. وخمرة لِمرِّ في النفس، يشرب وينسى فقره" (أمثال٣١: ٦-٧). تعبّر كلمة Dilia باللغة اليونانية الأصلية، والتي تترجم بكلمة "فقير": عن عدم شعور الفقير بالأمان النفسي، فالكلمة تعني: الضعف الشديد، والخوف، وعدم قدرة الإنسان على مساعدة نفسه. بالاضافة الى عدم شعور الفقير بالاستقرار والأمان النفسي، يخبرنا كاتب سفر الأمثال أيضا، عن الحالة الاجتماعية التي يعيشها الفقير، فيقول: "الفقير منفصل عن قريبه" (أمثال١٩: ٤)، أي أنه حتى بعض الأقرباء والأصدقاء، يرذلون الفقراء ولا يريدون التقرّب منهم، وهكذا يعيشون في عزلة اجتماعية، تزيد من رداءة وضعهم النفسي.

في كتابه "فكر كلفن الاقتصادي الاجتماعي"، يذكر الكاتب "أندرية بيليه"، "ان هم المصلح جان كلفن الأساسي كان في تعريف واجبات الأغنياء في علاقتهم مع الفقراء". قال كلفن، " على الأغنياء، أن يتعلموا كيف يكونوا فقراء في الروح، لطفاء، معطائين . دعا كلفن الأغنياء، الى تصحيح علاقتهم مع الفقراء، بناء لمبدأ الإنصاف. قال: "يوجد الفقراء كيما يمتحنوا إحسان الأغنياء، ويوجد الأغنياء كيما يسدّوا احتياجات الفقراء. دعا كلفن الأغنياء الى عدم الرخاء والبذخ في حياتهم ومعيشتهم، بل صرف أموالهم في المكان المناسب ومساعدة الفقراء. خصصّ مساحة كبيرة في كتاباته وتفسيراته للكتاب المقدس، ليتحدث عن الدور الايجابي الذي يجب أن يلعبه الأغنياء بمساعدتهم للفقراء. اعتبر كلفن أن الأغنياء مؤتمنون على ثروتهم، التي حصلوا عليها، إما من خلال الإرث أو من خلال أعمالهم وجهودهم في الصناعة والتجارة ، لهذا فان الذين لديهم ثروات ومال كثير، عليهم أن يسعوا لاستثمارها من أجل الخير العام والأعمال الخيرية، وانشاء صناعات تؤمن فرص عمل للفقراء، الذين لا يملكون أي موارد مادية.

كم نحن بحاجة في وطننا الحبيب لبنان، الى هكذا رجالات وقادة وحكّام، أمثال المصلح جان كلفن، الذي يشعرون مع آلام مواطنيهم لا سيما الفقراء. يشعرون بمرارة ما يعانون من غياب للشعور بالأمان وربما العزلة الاجتماعية حتى من قبل بعض الأقرباء، في وطن أصبح معظم مواطنيه فقراء. كم نحن بحاجة الى قادة ومسؤولين وحكّام، يكونون مصدر ثقة واحترام للمواطنين، بعد أن فقدوا ثقتهم واحترامهم لمعظم حكّامهم. كم نحن بحاجة لحكّام، يشعرون بالمسؤولية الالهية تجاه مواطنيهم، فيحثّون الأغنياء والمؤسسات والشركات الداخلية والخارجية، على استثمار ثرواتهم من أجل مشاريع انتاجية، توفّر فرص العمل للشباب وتوقف الهجرة القسرية للكثيرين.

اللهم، أنظر برحمتك الى فقرائنا. وازرع في قلب الأغنياء والحكام رحمة، ليشعروا بمسؤوليتهم، ويكونون على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم.

القس سهيل سعود

"قد اشتريتم بثمن، فلا تصيروا عبيدًا للناس"

يخاطب الرسول بولس في رسالته الى كنيسة كورنثوس، مجموعة من الأعضاء الذين لا يدركون معنى الحريّة. مجموعة من الأشخاص الذين لا يقدّرون معنى أن المسيح حرّرهم من خطاياهم، واشتراهم بدمه الثمين الذي سفكه على الصليب لأجلهم. مجموعة من الناس لا يقدّرون ميزة مكانتهم الفريدة في عينيّ الله. فبالرغم من أن المسيح قد جعلهم أحرارا بالايمان به، الاّ أنهم لا يزالون يريدون أن يعيشوا كعبيد (خدّام) للناس. يوجد مجموعة من النافذين المتزعّمين في الكنيسة، الذين يحاولون استزلام بعض البسطاء، والتحكّم في حياتهم وقراراتهم، واستعبادهم ثانية. أراد اولئك النافذون حتى استخدام المحاكم لتطويعهم واخضاعهم ليبقوا كالغنم صامتين لا رأي لهم، يضحّون بهم للذبح في أي وقت يتعارض وجودهم مع مصالحهم الشخصية. قال بولس، لأعضاء الكنيسة، "أيتجاسر أحد منكم له دعوى على آخر، أن يحاكم عند الظالمين وليس عند القديسين؟" "(١كورنثوس٦: ١) . حذّر بولس تلك المجموعة البسيطة من النظرة الدونية الى ذواتهم. أرادهم أن ينتفضوا لكرامتهم. أن يتذكّروا أن كرامتهم هي من الله، وليست من الناس، وأن قيمتهم الحقيقية تنبع من كونهم أبناء وبنات الله وخدّامه وخادماته، وليس من كونهم عبيد (خدّام)الناس. لهذا قال لهم، "قد اشتريتم بثمن، فلا تصيروا عبيدًا للناس" (١كورنثوس١٠: ٢٣).

أراد أولئك النافذون، من الأعضاء المساكين، أن يفكّروا كالعبيد الذين لا حقوق لهم. أن يتصرّفوا كالعبيد، الذين فقط يتلقّون أوامر سادتهم، ولا يتصرّفون بناء لما يملي عليهم ضميرهم. الاّ أن الرسول بولس أرادهم ألاّ يصغوا لأولئك المتزعّمين المستبدّين، بل أن يصغوا الى ذاك الذي حرّرهم من عبوديتهم للخطية، التي تتّخذ أشكالا وصورا عديدة. أرادهم أن يثبتوا في الحرية التي منحهم اياها المسيح مجّانا. قال لأعضاء كنيسة غلاطية، "فاثبتوا إذًا في الحرية التي حرّركم المسيح بها، ولا ترتبكوا بنير العبودية" (غلاطية٥: ١).

من أجمل المعادلات التي وضعها المصلح مارتن لوثر عن الحريّة في خدمة الآخرين، قوله: "الانسان المسيحي هو الأكثر حرية من الجميع، ولا يخضع لأحد.المسيحي هو خادم للجميع، ويخضع لكل واحد". وبمعنى آخر: حرّ من الجميع، ولا يخضع لاستعباد أحد. وخادم للجميع، عندما يكون هناك حاجة للخدمة. فالذي يقرّر في موضوع خدمتي أو عدم خدمتي، هو حرّيتي التي منحني اياها المسيح المبنية على حاجة الآخرين. هذه هي المعادلة الذهبية في حرية الخدمة المسيحية. فسّر لوثر تلك المعادلة بقوله، "ان حياة المسيحي، هي حياة حريّة تنبع من الإنجيل... ومصدر فرح الانسان المسيحي، هو مراحم الله وخلاصه" . وتابع قائلا: "عندما نؤمن بالمسيح، فإنه يمنحنا من صفاته، صفتي: الملوكية والكهنوت، فنصير بالايمان ملوكا وكهنة. الملك بطبيعة مركزه، يصبح سيدًا على كل شيء، حرًا من كل شيء، وملكا على كل شيء، الاّ أنه في الوقت نفسه، يصبح، كاهنًا يخدم الجميع".

اخوتي وأخواتي اللبنانيون واللبنانيات، يوجد البعض الذين نصّبوا أنفسهم اسيادًا علينا. يريدون أن يصيروا زعماء على ظهورنا، و يستزلموننا. يريدون أن يستغلّوننا لأجندات خاصة ومطامع شخصية وانتخابية ضيّقة. فلا نسمح لهم أن يشترونا من أجل حفنة من الدولارات، فلا نسمح لأنفسنا أن نصير عبيدا لهم.

اذ يقترب موعد الانتخابات النيابية، على أمل حصول تغيير كبير، يعيد الينا وطننا الحبيب لبنان بحلة جديدة مجيدة، ان شاء الله. علينا أن نتذكّر أن الله خلقنا أحرارا. حريتّنا تحفظ انسانيتنا وتصون كرامتنا، فلا نسمح لأحد أن يستزلمنا. لا نطلب منة من أحد، ولا نستعطي قيمتنا من أحد، لأن قيمتنا الفريدة تنبع من الله الذي خلقنا على صورته ومثاله، ونحن نخدم الله السيد الأعظم والأوحد. قال أحدهم "عندما تبني حياتك على تبعية شخص ما، إسأل نفسك، هل امتحن هذا الشخص أخلاقيًا، في أمانته وصدقه ومحبته وعدله.....؟ إقرأ حياة المسيح. واتحدّاك إن أخرجت عيبًا واحدًا فيه. أنظر الى أمانته ومحبته، وصدقه ونزاهته، وعندها اتّخذ قرارك ".

القس سهيل سعود

حول موت البعض وعدم موت البعض الآخر في انفجار ٤ آب المشؤوم

"تأملات لاهوتية"

في الذكرى الثانية لانفجار ٤ آب البغيض، يستعيد أهالي الضحايا تلك الذكرى الأليمة، التي خسروا فيها أحباءهم وفلذات قلوبهم، متمنّين لو لم يولدوا ليشهدوا ذلك اليوم المشؤوم، كما تمنى النبي أيوب لو لم يولد ليشهد يوم مأساة خسارة عائلته، بنيه وبناته، بسبب كارثة طبيعية، اذ عندما كانوا مجتمعين معا، هبّت ريح شديدة وصدمت زوايا البيت الأربع، فسقط عليهم وقتلهم (أيوب ١: ١٩). بعد تلك الحادثة المأساوية، كانت ردة فعل أيوب أنه قال عن يوم ولادته ما يلي: "ليته هلك اليوم الذي ولدت فيه، والليل الذي قال قد حبل برجل. ليكن ذلك اليوم ظلاما، لا يعتن به الله من فوق ولا يشرق عليه نور...أما ذلك الليل، فليمسكه الدجى، ولا يفرح بين أيام السنة، ولا يدخلن في عدد الشهور" (أيوب ٣: ٢-٦).

بعد سنتين من ذلك اليوم المشؤوم، ٤ آب ٢٠٢٠ ، رأينا أن بعض جرحى الانفجار قد ماتوا في وقت لاحق، والبعض لا يزالون قابعين في بيوتهم يعانون، روحيا ونفسيا وصحيا وجسديا، من تبعات تلك المأساة، الاّ أنّ الأكثرية الساحقة من الجرحى استعادوا صحتهم. وهنا نسأل ويتساءل الكثيرون، السؤال الفلسفي اللاهوتي الوجودي الكبير، لماذا مات البعض في ذلك الانفجار البغيض ولم يمت البعض الآخر؟ طبعًا، ليس لدي جواب على تساؤلات الناس وبكائها ودموعها العزيزة على قلوبنا جميعًا. لم يتمكن أحد منذ بدء الكون الإجابة على هذا السؤال. فالفيلسوف واللاهوتي المسيحي الاول، القديس أوغسطينوس، تحدث عن موضوع أصل الشر والألم، نافيا أنّ الله خلق الشر لأنه إله صالح، لكن الشر وُجد نتيجة شر الانسان الذي تمثّل في تمرّد آدم على الله لأنه أراد أن يكون مثله. اعتقد أوغسطينوس، أن الشرّ وُجد في العالم نتيجة غياب الخير. إلاّ أنه لم يتمكن من الاجابة على هذا السر الوجودي، لماذا يموت البعض ولا يموت البعض الآخر في حادث ما؟ يحاول البعض أن يربط سماح الله لموت البعض بسبب قصاص الله عليهم. لكن هذا المفهوم رفضه المسيح رفضًا باتًا. فإنه في إنجيل لوقا الاصحاح الثالث عشر، حين أتى بعض القوم الذين أرادوا أن يشمتوا في أولئك الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم، أو يشمتوا بأولئك الثمانية عشرة الذين سقط عليهم البرج في سلوام وقتلهم، معتقدين أن الله عاقبهم بموتهم بسبب خطاياهم. فما كان من المسيح، الاّ أن أجابهم قائلا: "أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين، أو الذين سقط عليهم برج سلوام كانوا مذنبين أكثر من غيرهم؟ كلا. أقول لكم، إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لوقا١٣: ١-٥).

نحن لا ندرك سرّ موت البعض وعدم موت البعض الآخر. هذا الأمر يبقى لغزا علينا. قال الرسول بولس، "فاننا ننظر الآن في مرآة في لغز" (١ كورنثوس ١٣: ١٢). يخبرنا كاتب الرسالة الى العبرانيين، عن سحابة من شهود الايمان المسيحي، سمح الله لبعضهم بالموت أثناء أحداث معينة، ولم يسمح لبعضهم الآخر بالموت. يتحدث عن "أبطال الايمان الذين بالايمان قهروا الممالك، صنعوا برًا، نالوا مواعيد، سدّوا أفواه أسود، أطفأوا قوة النار، نجوا من حد السيف. وآخرين "رجموا، نشروا، جرّبوا، ماتوا مثلاً بالسيف" (عبرانيين١٢: ٣٣-٣٧). قال، هؤلاء كلهم مشهودًا لهم بالايمان. في وسط تلك التساؤلات، يتحدث الرسول بولس في خطبته الى قوم من الفلاسفة اليونانيين الأبكوريين والرواقيين، قال لهم: "أن الله صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على وجه الارض، وحتم بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم" (أعمال الرسل١٧: ٢٦). يذكر بولس أن الله حتم بالأوقات المعيّنة للانسان، وكأنه يريد أن يقول، أن الله عيّن لكل انسان وقتًا معينًا تنتهي فيه حياته على الأرض، إن كان كبير السن أو صغير السن. قال سليمان الحكيم: "لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السموات وقت. للولادة وقت، وللموت وقت" (جامعة٢: ١-٢). عندما يحين ذلك اليوم، وتنتهي حياة الانسان فإننا لا تملك السلطان لاطالة عمر الانسان دقيقة واحدة. قال النبي أيوب، الذي خسر عائلته: "الإنسان مولود المرأة قليل الايام وشبعان تعبًا... إن كانت أيامه محدودة وعدد أشهره عندك وقد عيّنت أجله، فلا يتجاوزه" (أيوب١٤: ١و٥). أود أن أقول لأهالي ضحايا ٤ آب، "الحياة غير عادلة. فلتعوّدوا أنفسكم على ذلك". تعاملوا مع آلامكم وخسارتكم مع الله وبحضوره في حياتكم وليس دون الله، لأنه أثناء خسارتكم وأوجاعكم، يمنح الله سلامًا وتعزية تفوق كل عقل، تساعدكم على الاستمرار.

القس سهيل سعود

خطيئة اللامبالاة بأوجاع الناس

كانت المشاهد مؤلمة، بأن نرى على شاشات التلفزة والصحف ووسائل التواصل الاجتماعي مرضى السرطان، يتظاهرون والدموع تملأ عيونهم. كانت الصور مبكية جدا، ومفطرة للقلوب، بأن ترى أولئك المتألمين والمتألمات بأمراض خطيرة ، يناشدون مسؤولينا الفاسدين غير المبالين بأوجاعهم، تأمين أدويتهم التي تسعفهم للاستمرار على قيد الحياة، لكي لا يتعرضوا لابادة جماعية، من جرّاء نفاذها، أو تخبئتها من قبل المحتكرين الظالمين الذي هم أيضا، لا يبالون بأوجاعهم، وانما كلّ همهم تكديس المال على حساب دماء أولئك الذين الذين لا ذنب لهم، سوى أنهم يعيشون في وطن سلبهم معظم قادته الفاسدين كرامتهم وأدنى حقوقهم، والآن يحرمهم من حق الاستمرار على قيد الحياة.

عرّف أحدهم اللامبالاة، على أنها "حالة غريبة عند بعض الناس حيث تسقط غشاوة على عيونهم وتتغبّش رؤيتهم، فتتداخل الحدود بين الإيمان وعدم الإيمان، بين النور والظلمة، بين الخير والشر، بين الرحمة والظلم". ان حالة اللامبالاة، تجعل الإنسان يفقد أو يكبت مشاعره واهتمامه وتعاطفه مع الآخرين. قال أحدهم، "حالة اللامبالاة، ليست بداية لموقف ما، لكنها النهاية لكل المواقف. إنها حالة اللاموقف، التي فيها يختار الإنسان غير المبالي الخيار الأسهل، والذي قد يكون مغرياً إلى حد ما، بأن لا يبذل أي جهد فكري أو عاطفي أو روحي للتعاطف والتشارك مع آلام واحتياج الآخرين، وهكذا يقرر أن يبقى على هامش الحياة". إن الأمثال والأقوال الشعبية التي تعبر عن اللامبالاة كثيرة في وطننا، تتناقلها ألسنة الناس، منها "حايدة عن ضهري بسيطة"، "بعد حماري ما ينبت حشيش"، "آخر همي " . قال أحد المفكرين: "ليست الهرطقة هي عكس الإيمان، ولكن عدم المبالاة هي عكس الإيمان." ليست الكراهية هي عكس المحبة، ولكن اللامبالاة هي عكس المحبة".

إذا ما تصفحنا الكتاب المقدس، نجد انتقاد المسيح لغير المبالين؛ في كثير من النصوص، ومنها نصّ قصة السامري الصالح التي سردها المسيح في إنجيل (لوقا ١٠: ٢٥-٣٧)، والتي تفيد أنه بينما كان انسانا نازلاً من أورشليم الى أريحا، وقع بين لصوص. فعرّوه. وجرحوه. ومضوا وتركوه بين حي وميت. في تلك القصة، نرى انتقاد المسيح غير المباشر، للكاهن واللاوي اللذان يخدمان في الهيكل، ويرفعان الصلوات من أجل الناس الى الله. الاّ أنه بالرغم من أنه يفترض أن يكون الاهتمام بآلام وأوجاع الناس من صلب عملهما، فانهما لم يباليا بآلام ذلك الجريح. ومع أنهما وجداه ينزف بين الحياة والموت، لم يمدّا يد العون إليه، بل جازا مقابله. بينما نرى في تلك القصة فرح المسيح، بذلك السامري الصالح الغريب، الذي لم يعتبره اليهود أنه من شعب الله. فانه اذ رأى ذلك الجريح ينزف دما، بين الموت والحياة. تحنّن عليه وضمّد جراحاته، وأركبه على دابته، وأتى به الى فندق، وأوصى صاحب الفندق أن يتابع عنايته به حتى بعد رحيله، واعداً إياه أنه سيدفع له الكلفة المتبقية. قال أحد المفكرين المسيحيين: الرجاء الوحيد للمتألمين في هذا العالم هو أن تنتصر الرحمة على عدم المبالاة، لأن الرحمة عطية سماوية تصنع فرقاً في العالم". وضع الرسول يعقوب، مبدا مسيحيا هاما، يجرّم بجرم الخطيئة، كل غير مبال، عندما يكون هناك حاجة للمبالاة وتقديم المساعدة للناس، والقيام بأمور حسنة للمحتاجين. قال: "فمن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل، فذلك خطية له" (يعقوب ٥: ١٧).

اذ تتكرّ مشاهد أوجاع وآلام الناس يوميا، باستفحال أزمات البلاد المتراكمة، دون رؤية ضوء في نهاية النفق. نحن مدعوون لأن نتحسّس مع آلام وأوجاع الناس، وبحسب امكانيات كلّ منا تقديم المساعدة لهم، لأن الرجاء الوحيد للمتألمين في وطننا، هو أن تنتصر الرحمة على عدم المبالاة. يا رب ارحم شعبنا اللبناني المتألم، واحفظ وطننا المجروح لبنان.

القس سهيل سعود

الرياء السياسي في قضية انفجار ٤ آب

يقول الصحافي السياسي، ميكيال جيرسن، "الرياء السياسي هو الاستخدام الواعي لقناع خادع، يخدع فيه الرجل السياسي الشعب من أجل فائدة سياسية". أحد تعريفات "الرياء"، هو إدّعاء مقياس أخلاقي لا يلتزم فيه المدّعي، أو الفشل في الالتزام بالمبادىء التي أعلن عنها المدّعي. قال الفيلسوف الانكليزي جيلبرت رايل، "أن تكون مراء يعني أن تظهر وكأنك تعمل بدافع وهدف، ليس هو لا دافعك ولا هدفك الحقيقي". نسب عالم النفس السويسري، كارل يونغ، الرياء الى عدم ادراك الانسان، الجانب المظلم في طبيعته. وجد الدارسون أن المصلحة الشخصية، هي السبب الأوضح للرياء. استخدمت كلمة "رياء" في اللغات القديمة، كمصطلح تقني يطلق على الممثّل على المسرح، ولم تعتبر الكلمة تليق بأن تطلق على شخصية معتبرة. في كتابه "أساطير النحل"، "Fables of the Bees" ، الذي كتبه الكاتب الانكليزي، برنارد موندفيل عام ١٧١٤، فقد سلّط الكاتب الضوء على آفة الرياء في مجتمعه الأوروبي، إذ رأى النشاط الاجتماعي للنافذين في مجتمعه، على أنه مجرّد قناع للبطل والكبرياء. أظهرت دراسات أن هناك علاقة مباشرة، بين ازدياد النفوذ في السلطة، وبين بازدياد الرياء لدى المتسلّطين، كون أن ذوي السلطة يظهرون انفصامًا أكبر في شخصياتهم، بين ما يقولون وكيف يتصرفون.

وبعبارات اخرى، "الرياء" هو تمثيل على الناس، Play acting . والكذب عليهم وخداعهم. انه تخبئة الحقيقة، لاظهار وجه مزيف غير حقيقي، كما يقول المسيح، "يأتون بثياب حملان ومن الداخل ذئاب خاطفة". الرياء هو عدم التطابق بين الظاهر والباطن، بين كيف يجب أن نظهر أمام الناس في كلماتنا وتصرفاتنا، وحقيقة من نحن. الرياء هو التصرف والتكلم بحسب توقعات الاخرين، وليس بحسب قناعات الانسان الداخلية. نعت يسوع الفريسيين بالمرائين لأن هدفهم الأكبر، كان كسب ثناء الناس وان كان في الباطل. واجههم المسيح برياءهم مكيلا لهم الويلات بالقول، "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيّضة تظهر من خارج جميلة، وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا، ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما" (متى ٢٣: ٢٧-٢٨).

في كتابه يسوع ابن الانسان، يخصص الكاتب، جبران خليل جبران، فصلا ليتحدث عن رأي يسوع القاسي في المرائين. الفصل بعنوان "لوقا في المرائين"، فيقول جبران "لقد احتقر يسوع المرائين، وبالغ في تعنيفهم. وكان غضبه ينقضّ عليهم انقضاض الصاعقة. كان صوته رعدا في آذانهم، ترتعش لهوله قلوبهم. لقد قضى يسوع قضاء مبرماً على المرائين الذين يبرّقعون وجوههم ،ويغطّون أيديهم. لم يغلق بابه الاّ في وجوههم. أما الضعفاء الذين يسميهم خطاة ، فهم كالفراخ التي لا ريش لها الساقطة من العش. ولكن المرائي نسر جالس على صخرة يتوقع فريسة بريئة لينقضّ عليها. الضعفاء هم رجال ونساء ضائعون في الصحراء، ولكن المرائي غير ضائع، فهو يعرف الطريق ولكنه يضحك بين الرماح والرياح".

تذهلني تصريحات، معظم سياسيينا ومسؤولينا غير المسؤولين في قضية انفجار ٤ آب المشؤوم، الذي صنّف الثالث عالميا في قوّته، والذي ذهب ضحيته أكثر من ٢٠٠ قتيل و٥٠٠٠ جريح وتفجير نصف مدينة بيروت الحزينة. يظهر رياءهم وخداعهم، في عدم التطابق بين كلامهم ومواقفهم، بين ما صرّحوا به في الأيام القليلة الأولى من الانفجار، بأنهم سيعملون على كشف الحقيقة في أيام معدودات بقصد سياسي هو امتصاص غضب ونقمة الناس. وبين مواقف الأكثرية الساحقة منهم اليوم المناقضة لتصريحاتهم. لقد انكشف رياؤهم وكذبهم وخداعهم وعدم أهليتهم لادارة شؤون هذا الوطن العظيم. ادّعوامنذ سنة أنهم سيكشفون الحقيقة، وعندما حانت ساعة الحقيقة اليوم، أصبحوا معيقين للحقيقة والتحقيق، ويرفضون رفع الحصانة على الذين ادّعى عليهم القاضي بيطار، لكشف أسرار انفجار ٤ آب. انه الرياء السياسي. انه قناع الخداع والبطل والفساد.

يذكّرني رياء معظم سياسينا، برياء الحاكم الروماني بيلاطس البنطي، الذي حاكم المسيح الذي اتهمه الفريسيون ورؤساء الكهنة، بتهمات سياسية وأمنية واجتماعية، ليس لها أساس من الصحة. يخبرنا انجيل يوحنا، أن بيلاطس سأل يسوع : "ما هو الحق؟" (يوحنا ١٨: ٣٨). سأل هذا السؤال الكبير، ليس بهدف معرفة مدى تطابق الاتهامات السياسية والأمنية والاجتماعية المقدمة ضد المسيح مع الواقع الذي اكتشفه في التحقيق معه التي كشفت براءته. لكن سؤاله ذلك كان السؤال الأخير ، الذي لم يكن ينتظر من المسيح جوابا عليه، بل أراد بسؤاله هذا، أن ينهي ويختتم تحقيقه معه، لأن بيلاطس، لم يكن يبالي بمعرفة الحق. وانما لكونه مراء. يا رب عزّ أهالي ضحايا ٤ آب المفجوعين. وارحم وطننا الجريح لبنان.

القس سهيل سعود

نحو شفاء علاقتنا المدمّرة مع الطبيعة

وجّه المؤرخ لين وايت، في مقالة كتبها عام ١٩٦٧ ، "الجذور التاريخية لأزمتنا البيئية" "Historical Roots for our Ecological Crisis" تهمة الى المسيحية على أنها مساهمة بالانحطاط البيئي. ذكر المؤرّخ أن التفسير الأنتربولوجي لقصة الخليقة في سفر التكوين، قد أعطى الأفضلية للانسانية على الطبيعة، لأن الانسان وحده خلق على صورة الله ومثاله، وقد منح الله الانسان فرصة التسلّط على كل خليقة الأرض (تكوين١: ٢٦-٢٨). اعتقد وايت، أن هكذا قراءة شرّعت استغلال الطبيعة. مما ذكره، "قرأ المسيحيون الكتاب المقدس، بطريقة أصرّوا فيها على اعتبار استغلال البشر الطبيعة من أجل غاياتهم الشخصية، هي ارادة الله ". تحدث عن غزو الانسان للطبيعة، الأمر الذي حصل خلال التطورات التكنولوجية للحقبة الصناعية. من العبارات التي اطلقها، "الكبرياء المسيحي ضد الطبيعة".

في هذا السياق، تجري في العقود الأخيرة أبحاث لاهوتية للمساهمة المسيحية في شفاء علاقتنا المدمّرة مع الطبيعة، بعد تفاقم الأزمة البيئية في العالم، التي تنذر بعواقب وخيمة على المسكونة. يجري العمل على نوعين من الأبحاث اللاهوتية في هذا الصدّد: الأول بحث تقليدي، يعمل على اعادة تفسير وصية الله لآدم وحواء، ليتسلّطوا على الخليقة، اذ قال لهما: "أثمروا وأكثروا واملأوا الارض، وأخضعوها وتسلّطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدبّ على الارض" (تكوين١: ٢٨)، لتفسير "التسلّط" على الطبيعة، كوكالة ومسؤولية على الخليقة التي وضعنا الله فيها وائتمننا عليها. أما النوع الثاني من الأبحاث، فقد ظهرت بوادره في العقود الأخيرة، والذي يركّز على تجذّر الروح الانسانية في عالم الطبيعة، والرغبة في تجسيد الذات للاحتفال بحضور الله في الطبيعة ومع الطبيعة وتحت الطبيعة، مع كل الحياة الطبيعية. من ضمن الداعين الى هذا التوجّه الجديد، أحد لاهوتييّ البيئة بول سانتماير، اذ كتب منذ حوالي ربع قرن كتاب بعنوان، "نحو لاهوت جديد حول الطبيعة". وجد سانتيمار، أن المصادر المسيحية: الكتاب المقدس والتقليد الكنسي، لصنع لاهوت حديث حول الطبيعة هي بالحقيقة أكثر مما كنا نفكّر به سابقًا.

في كتابه "مخاض الطبيعة: الوعد البيئي الغامض للآهوت المسيحي"، والمبني على قول الرسول بولس، "فاننا نعلم أن كل الخليقة، تئنّ وتتمخّض معا الى الآن" (رومية ٨: ٢٢)، قام المؤلف بول سانتمبار بتقييم المواقف المتنوعة من الطبيعة في تاريخ الفكر المسيحي الغربي. قصد في مصطلح "الوعد البيئي"، الترابط الانتظامي في العلاقة بين الله والانسانية والعالم الطبيعي، بمقابل وصية التسلّط التي بدت تقريبًا عدائية وغير مبالية بالطبيعة. اطّلع سانتيمار على كتابات آباء الكنيسة والمصلحين واللاهوتيين: ايرينايوس، أوريجانوس، أوغسطينوس، لوثر، كلفن، وبارت، لمعرفة وجهات نظرهم حول الموضوع، فوجد أن دوافع معظم الابحاث اللاهوتية حول الطبيعة هو روحي، وليس بيئي. اعتقد أن الدافع البيئي يشدّد على قرب الله كقوة الحياة نفسها، والتي هي حضوره في الطبيعة ومع الانسان وفي باقي الكون. ان اللاهوتي الألماني، بول تيليك، الذي أخذ بعين الاعتبار الدافع البيئي، عرّف الله على أنه الأساس الخلاّق للكون، والمرجع الأسمى لمعنى الحياة. يؤمن متبنّوا هذا اللاهوت الجديد نحو الطبيعة، أن فكرة التسلّط القديمة على الطبيعة، تجعلنا نتصرّف معها بشكل هرمي وبفوقية.

ان الوضع البيئي المتدهور والخطير، حدا ببعض المسيحيين، لا سيما الانجيليين، الى اعادة قراءة الكتاب المقدس باعتماد ذهنية بيئية تفسيرية تربط بين السرد الكتابي لقصة الخلق، والأزمة البيئية الضاغطة. مع أن لاهوتي البيئة، الانجيلي بول سانتماير رفض تهمة المؤرّخ وايت، أن المسيحية هي مساهمة رئيسية في أسباب الانحطاط البيئي، الاّ أنه دعا الى تقديم نوع من الشفاء اللاهوتي للتشوّه البيئي، استنادا الى أحد أهم مبادىء الاصلاح الانجيلي الذي هو، "الكتاب المقدس وحده"، الذي يبدأ مع قصة الخلق والخليقة في الاصحاح الأول من سفر التكوين، وينتهي مع بروز السماء الجديدة والارض الجديدة، في الفصل الأخير من سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي .اعتقد سانتماير، أنه يجب اعادة توجيه قراءتنا للكتاب المقدس بحساسية بيئية، بعد أن اصبحت البيئة أولوية أساسية للعائلة الكونية، في ضوء التغيير المناخي الكبير الذي يشهده الكون.

في كتابه بعنوان "تأمّلوا زنابق الحقل: يسوع وتأمل الطبيعة"، يذكر سانتماير، أن وصية المسيح في العظة على الجبل، حول التأمل بزنابق الحقل، "تأمّلوا زنابق الحقل كيف تنمو" (متى ٦: ٢٨)، ليست أقلّ أهمية، من قول المسيح للتلاميذ، "اتبعوني". بعد أن كان التفسير التقليدي لهذا النصّ، دعوتنا الى عدم القلق، لأن الله يزودنا بحاجاتنا الضرورية للحياة. سمّى البعض هذه المنهجية على انها "الكشف عن الحقيقة الأبدية". فسّر سانتماير قول المسيح هذا، على انه دعوة للتلاميذ ولنا جميعا اليوم، كيما نتأمّل بزنابق الحقل، ونحتفل بجمال الطبيعة، ونرى مجد الله فيها.

القس سهيل سعود

"صلاة السكينة" ترسم خارطة الطريق للتعاطي مع الإحباط

تتكوّن مشاعر الإحباط عند الإنسان، كردة فعل على عدم قدرته على تحقيق أهدافه وطموحاته في الحياة، أو عندما لا تسير الأمور بحسب رغبته وتخطيطه. فالانسان في حالته الطبيعية، يشعر بالسعادة والرضى عندما يحقق ذاته وأهدافه وطموحاته. أما عندما يمنع من ذلك، فهو يشعر بالاحباط والفشل والهزيمة . تنقسم مسبّبات الاحباط الى قسمين : أسباب خارجة عن ارادة الانسان، وهي قد تكون قوى قاهرة، من أحداث متنوعة كالحروب والمصائب وغيرها، التي تفرض نفسها على حياة الناس فتحبطهم. وأسباب تنبع من داخل الانسان، كقلة الثقة بالنفس، أو قلة الحكمة. وفي بعض الأحيان يسبّب الانسان الاحباط لنفسه، عندما يضع أهدافا وطموحا أكبر من قدرته على تحقيقها، أو عندما يقبل تحمل مسؤولية أكبر من طاقته على تحمّلها، أو عندما لا يكون لديه خبرة. أو عندما يضع مجموعة من الأهداف تتنافس بل تتداخل مع بعضها البعض فلا يصل الى نتيجة مرضية بسبب تضاربها. يتفاوت تأثير الاحباط على الانسان من شخص الى آخر، وبناء لدرجة الاحباط. قد يصل إحباط الانسان الى مراحل متقدمة جدا، تؤثر على حياته وعلاقاته، وقد يخسر دوافعه للبقاء والاستمرار في الحياة.

يقدّم لنا الكتاب المقدس، أمثلة عن بعض رجالات الله الذين مرّوا بمراحل قاسية من الاحباط، ان كان لأسباب خارجة عن ارادتهم أو من خلال ارادتهم. الاّ أنّ الله افتقدهم برحمته، ومدّهم بالقوة والحكمة والبصيرة الروحية ، كيما يخرجهم من احباطهم، ليقدموا لنا مثالا نموذجيا، لنعرف كيف نتعاطى مع احباطنا ونخرج منه ،أو نقلّل من ضرره علينا. من هؤلاء الرجالات: النبي موسى. يخبرنا الكتاب المقدس، أنه بعد أن كلّف الله موسى بمهمة اخراج الشعب العبري من أرض مصر، وقيادتهم في البرية الى أرض الموعد. فانه في مرحلة ما، وبسبب ثقل الحمل وضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقه. وبعد ازدياد تذمّر الشعب وشكاويهم المتعددة، شعر النبي موسى بالاحباط والفشل ، وكاد على وشك الاستسلام. فالتجأ الى الله طالبا منه أن يعفيه من مسؤوليته هذه بالموت. فقال موسى لله ، "لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب، لأنه ثقيل علي. فان كنت تفعل بي هكذا، فاقتلني قتلا ان وجدت نعمة في عينيك، فلا أرى بليّتي" (عدد ١١: ١٤ و ١٥). الاّ أنّ الله رفض طلب موسى هذا، وقدّم له بدلا عن مطلبه، مساعدة تنظيمية خفّفت من حمله، وأخرجته من مرحلة إحباطه. فقال الله لموسى، أن يجمع له سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل، ليصيروا قضاة للشعب. فيقضوا بقضايا الشعب معه، ويساعدوه في مسؤولياته . وهكذا فعل موسى، اذ اختار سبعين من القضاة، ونزل الرب بسحابة وأخذ من روح موسى وجعلها على السبعين قاضيا، قائلا له "فيحملون معك ثقل الشعب، فلا تحمل أنت وحدك" (عدد ١١: ١٧).

مما لا شك فيه، بأنه لا يمكننا التخلص نهائيا من الاحباط . فالحياة لها مراحلها المتنوعة، من أفراح وأتراح ، سعادة وصعوبات، تؤثرعلينا جميعا، مؤمنين وغير مؤمنين. الا أنه ما يمكن فعله، هو تغيير الطريقة والنتيجة التي يؤثر بها الاحباط علينا، كيما نقلّل من ضرره وردّات فعله المؤذية على صحتنا وعلاقتنا مع الله مع أنفسنا ومع الاخرين . وهذا يقتضي تغييرا في مواقفنا الفكرية والنفسية والروحية. ان "صلاة السكينة" التي كتبها اللاهوتي الانجيلي رينهولد نيبور عام ١٩٤٣ ترسم خارطة الطريق للتعاطي مع احباطنا والتقليل من ضرره. فقد صلى قائلا، "اللّهم امنحني السكينة أي سلام الضمير، لأقبل الأمور التي لا أستطيع تغييرها. والشجاعة لأغيّر الأمور التي أستطيع تغييرها. والحكمة حتى أميّز بين الاثنين" .

ان صلاة اللاهوتي نيبور، تدعونا للتسليم لله في الأمور التي هي خارجة عن ارادتنا، وطلب الشجاعة من الله لتغيير الأمور التي نستطيع تغييرها، والحكمة من الله للتمييز بين الممكن وغير الممكن. يتطلّب هذا الأمر، إعادة تنظيم أفكارنا وتبويبها، لنستطيع التمييز بين: ما لنا سلطان عليه ويمكن تحقيقه. وما ليس لنا سلطان عليه، ولا يمكن تحقيقه. وهنا لا بد لنا أولا، من الاقرار بأننا لسنا كاملين ولا نعرف كل شيء. هذا الاقرار له قدرة تحرّرية، يخفّف من احباطنا. ويحثّنا على طلب ارشادات متخصّصة، تساندنا وتساعدنا على حلّها. ثانيا: انّ ادراكنا للظروف والحيثيات، التي أدّت الى شعورنا بالاحباط والفشل، يؤهلنا لنعرف كيف نخرج من احباطنا، ولا نستسلم له، لأن المستسلمين لا يربحون، والرابحين لا يستسلمون. تضمنت مجلة " Reader's Digest" في عدد نيسان ٢٠٠٥ ،مقالة بعنوان "برهان جديد على أن للصلاة فاعليتها"، اذ ذكر الكاتب "جولي باين" قائلا، "بالرغم من أنّ أحدا لا يستطيع بشكل قاطع أن يثبت فاعلية الصلاة في شفاء الأمراض، الا أنّ الكثير من الأطباء يستشهدون بحالات استعادة الصحة. ولا يمكن ارجاع السبب في ذلك الاّ الى الصلاة. فالأمر الذي نعرفه، هو أن الايمان والصلاة، يستطيعان تخفيف الضغوطات، وتحسين جهاز المناعة لدى الانسان".

مما لا شكّ فيه أن الأغلبية الساحقة من الشعب اللبناني، يعاني من حالة شديدة من الاحباط بسبب الحالة التي لم تعد تحتمل التي أوصلنا اليها معظم قادة بلادنا الفاسدين والمفسدين. وما شهدناه من اقتحام مواطن بنك فيدرال في الحمرا، ما هو الاّ دليل على مرحلة الاحباط التي وصل اليها. رجائي الى الله، أن تساعد صلاة السكينة مواطنينا ومواطناتنا ليتعاطوا مع احباطهم، ليبقوا مستعدين للمشاركة في وطن أفضل ننتظره ونصلّي لأجله.

القس سهيل سعود

صمود اللبناني من صمود أرز لبنان

يعيش اللبنانيون واللبنانيات في هذه الأيام، ظروفًا صعبة جدًا. فالمآسي تنهال يومًا بعد يوم، والضيقات تحيط بهم من كل صوب وناحية. لهذا، فالسؤال الذي يتردّد على ألسنة اللبنانيين، الى متى نستطيع الصمود في وجه هذه المصائب والضيقات التي تتراكم علينا؟ هذه التساؤلات، جعلتني أفكّر في الآية التي ذكرها المرنّم، عن طبيعة لبنان، هذا الوطن الجميل والعظيم الذي نعيش فيه. يقول المرنّم: "الصدّيق مثل النخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو" (مزمور١٩: ١٢). شبّه المرنم صمود وصلابة وتجذّر الإنسان الصدّيق، أي الانسان البار، والصالح والمستقيم والنزيه ونظيف الكفّ الذي يعيش في مخافة الله ، بصمود وصلابة وتجذّر وقوة ومتانة أرز لبنان

هناك مكانة خاصة للبنان في فكر رجالات الله في كتّاب الكتاب المقدس. ذُكر اسم لبنان، ٧١ مرة في الكتاب المقدس. بنى الملك داود قصره من أرز لبنان، لأن خشب الأرز معروف بصلابته. يذكر النص: "أرسل أحيرام ملك صور رسلاً الى داود وخشب أرز، ونجّارين وبنّائين فبنوا لداود بيتًا" (٢صموئيل٥: ١١). تحدّث النبي إشعياء عن مجد لبنان: "ومجد لبنان إليك يأتي" (اشعياء٦٠: ١٣). والنبي هوشع، تغنّى برائحة لبنان. يقول النص "وتمتد خراعيبه ويكون بهاؤه كالزيتونة، له رائحة كلبنان" (هوشع١٤: ٦)، قصد بذلك رائحة خشب الأرز العطرة التي هي رائحة البخور أو اللبان. الأرز غير متواجد فقط في لبنان، كما يظن الكثيرون، بل هو متواجد في أماكن أخرى في العالم، إلاّ أن نوعية أرز لبنان تختلف عن نوعية الأرز الموجود في أمكنة اخرى في العالم. فان علوّه، وجماله، يعطي انطباع عن العظمة والمجد. يذكر بعض المؤرخين، أن اسم لبنان ينحدر من معنى "ألبان" أي الراحة العطرة. كان اللبان احدى الهدايا التي حملها المجوس وقدموها الى يسوع المسيح عند الولادة، وهي ترمز الى موت المسيح، لأنها من الحنوط التي استخدمت لتحنيط جسد المسيح بحسب العادة اليهودية.

يشبّه المرنّم الإنسان الصدّيق، بشجرتين مميّزتين، هما: شجرة النخلة، وشجرة الأرز في لبنان. بينما يشبّه المرنّم الأشرار بالعشب الذي لا ينبت سوى لفترة قصيرة ولا يتحمّل أية صعوبات، بل سرعان ما يذبل ويموت. يقول النص: "إذا زها الأشرار كالعشب، وأزهر كل فاعلي الإثم، فلكي يبادوا الى الدهر" (مزمور ٩٢: ٧). وشتّان الفرق ما بين العشب، والنخلة أو الأرزة.

من ميّزات شجرة النخلة، أنها قادرة على النمو والبقاء في صحراء قاحلة لا يتوفّر فيها معطيات الحياة التي تحتاجها الأشجار الأخرى. ميّزة النخلة، أنها تنمو باستقامة وليس بتعرّج وتحمل ثمارًا مفيدًا للناس، هو البلح، في وقت لا تستطيع الأشجار الأخرى، أن تنمو ولا تعطي أية ثمار.

ومن ميّزات شجرة الأرز أن خشبها صلب جدًا، يعمّر آلاف السنين ويقاوم ظروف الطبيعة القاسية. الأرز والنخيل، شجرتان، دائمتا الإخضرار، لا يعرفان اليباس، بل دائمًا مليئتان بالحياة والحيوية. يقول المرنّم بأن هاتين الشجرتين: "مغروستين في بيت الرب، في ديار إلهنا يزهرون، أيضا يثمرون في الشيبة، ويكونون دسامًا وخضرًا، ليخبروا بأن الرب مستقيم، صخرتي هو ولا ظلم فيه" (مزمور٩٢: ١٣-١٤). هكذا ينبغي ان يعيش الصدّيقون اللبنانيون واللبنانيات، مثل شجرتي: النخيل والأرز، يكونون دسامًا وخضرًا، يصمدون في وسط الصعاب والتحديات والضيقات، لأنهم مغروسون في بيت الرب متأصلون ومتجذّرون في تربة حديقة الله، يزهون على باقي الأشجار التي لا تستطيع أن تنمو أو أن تعطي ثمرا. ومهما قست الظروف عليهم ، يجب أن يبقون مثل أرز لبنان، تفوح منهم رائحة البخور الزكية، التي تعطّر ليس فقط لبنان يب يصر عطرها الى كلّ مكان. .

اذ احتفل الشعب اللبناني بعيد الاستقلال اليوم، يأتي قول الكتاب المقدس، "الصدّيق مثل النخلة يزهو، كالأرز في لبنان ينمو"، ليحمل رسالة تشجيع هامة لنا جميعا، لكل اللبنانيين واللبنانيات، لنصمد بالرغم من الظروف الصعبة التي نعيش فيها، ونتمسّك بهذا الوطن الغالي على قلوبنا، الذي نصرّ على العيش في ربوعه الجميلة، ولنا رجاء كبير أن لبنانيي الوطن والاغتراب، سيعملون يدا بيد، وبمعونة الله على نموّ لبناننا كيما يزهو في الوطن العربي والعالم.

القس سهيل سعود

طمع الدائسين على أوجاع الناس

يعيش العديد من اللبنانيين واللبنانيات في هذه الفترة، في أزمة بل أزمات متعددّة الأوجه، ربما تكون الأصعب في تاريخ لبنان الحديث، وذلك بسبب الأوضاع المالية والاقتصادية والصحية، التي آلت اليها البلاد، والتي سبّبها معظم قادتنا وحكامنا الفاسدين والمفسدين والساكتين على الفساد، مما حدى ببعض المواطنين، وبدافع اليأس القاتل الى اقتحام مصارف، وحدى بآخرين الى ركوب قوارب الموت، مخاطرين بحياتهم وحياة عائلاتهم، من أجل الخروج من هذا الجهنم، وناره الحارقة التي تحرق قلوب الأهل على أولادهم، فيسعون دون أي ضمانات لتأمين وطنا بديلا أفضل لهم، يحترم انسانيتهم وكرامتهم. وما يزيد الطين بلّة، هو أنه بدلا من أن يتكاتف المواطنون الميسورون مع بعضهم، لمساعدة اخوتهم وأخواتهم المحتاجين الذين يستغيثون طلبا للاستشفاء والدواء، والكهرباء وتأمين ايجارات بيوتهم، نرى فئة من الطمّاعين الأباطرة في العديد من القطاعات الذين من أجل مصالحهم الشخصية يدوسون على أوجاع الناس وأنينهم واستغاثاتهم دون رحمة، ويتحكّمون بحاجاتهم المعيشية الأساسية، فارضين شروطهم التي لا يبرّرها الاّ طمعهم بالمزيد والمزيد من المال، حتى ولو على حساب أوجاع الناس.

تعرّف القواميس اللغوية الطمع، على أنه "الرغبة الجامحة، والشهية المفرطة التي لا تشبع للحصول على المزيد والمزيد من المال والممتلكات، والسلطة وغيرها". ينظر بعض المحلّلين النفسيين إلى ظاهرة الطمع، على أنها سلوك مرضي نفسي، وغير منطقي لأن الطامع يجمع لنفسه موارد كثيرة لا يحتاجها ولا يستهلكها. الاّ أنّه يستمد منها قوة زائفة، تؤذي حياته وعلاقاته مع الآخرين. في كتابه: "The Surprising Origin of Human Greed" ، يقول الكاتب غاري راي، "أن معظم الناس يظنون أن الطمع هو امتداد لغريزة البقاء، التي تمتلكها الحيوانات، كالسنجاب الذي يجمع طعامه من أجل مؤونة الشتاء. وهكذا يبرّرون طمعهم لضمان المستقبل المجهول". الا أنه يعود ويؤكد، "بأن هذا الاعتقاد هو غير صحيح، لأن السبب الحقيقي للطمع هو أنانية الإنسان، وعدم اكتراثه بالمصلحة العامة، وإنما فقط يهتم بمصلحته الشخصية. فليس للطامع هدف، سوى الحصول على المزيد". وصف أحدهم الطمع على أنه "سيدٌ ظالم يقود ضحيته إلى مكان موحش، فيصير عبدا له، وحيدًا ذليلاً وسجينا في قبضته". وبما أن للطامع، رغبة شديدة جامحة وشهوة مفرطة لا تكتفي، فهو قد يلجأ إلى كافة أساليب الخداع والرياء للحصول على ما يريد. قال القديس توما الأكويني: "الطمع هو خطية ضد الله كما هي كل الخطايا المميتة، لأن الإنسان يتجاهل الأمور الأبدية من أجل الأمور الزمنية" .

تطرق المسيح الى مشكلة الطمع ، عندما جاء اليه أخ اختلف مع أخيه حول الميراث. فسأل الأخ، المسيح قائلا: يا معلم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث. لكن المسيح رفض أن يقوم بهذه المهمة، قائلاً له: "يا إنسان من أقامني عليكما قاضيا أو مقسّمًا" (لوقا ١٢:١٤). إلاّ أنه عاد وحذّره، والجمع المتواجد معه قائلا: "أنظروا وتحفّظوا من الطمع، فإنه متى كان لأحد كثير، فليست حياته من أمواله" (لوقا١٢:١٥). لا تعني كلمة "تحفّظوا" بالأصل اليوناني، فقط "انتبهوا"، ولكن تحمل معنى، "خذوا موقفًا حازمًا لصد هجوم الطمع". فالطمع خطر كبير في حياة الإنسان، لهذا يجب أن نقف موقفًا حازمًا منه لئلا يتحكّم فينا، فتصبح كل تصرفاتنا مسيّرة بدافع الطمع. يذكر الرسول بولس أن الطمع هو عبادة أوثان. فيقول: "فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض، الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع الذي هو عبادة الأوثان" (كولوسي ٣:٥). فالوثن في الحياة، هو أي شيء يأخذ كل فكرنا وعاطفتنا وأولوياتنا.

من الكتّاب الذي انتقدوا الطمع في حياة الناس، الكاتب القصصي والمصلح الاجتماعي الروسي ليو تولستوي الذي بعد اختباره لنهضة روحية في حياته، كتب قصصًا لها مغزى أخلاقي. من هذه القصص، قصة بعنوان: "كم مترا من الأرض يحتاج الإنسان؟". انها قصة فلاح ناجح اسمه "باهوم"، امتلك قطعة أرض صغيرة، لكنه لم يكتفِ بذلك، بل ظنّ أنّه سيصبح أكثر سعادة ويعيش حياة أكثر هناء ورفاهية، إذا ما امتلك مساحة. في يوم من الأيام، عُرِضَ عليه عرض خاص، مفاده أنه بمبلغ زهيد هو ألف روبل، يمكنه شراء كل المسافة التي يستطيع اجتيازها مشيًا على قدميه في يوم واحد، شرط أن يصل من حيث انطلق قبل غروب الشمس. وهكذا فرح "باهوم" بهذا العرض المغري. وفي صباح اليوم التالي، نهض باكرا وابتدأ بالسير بسرعة كبيرة. وفي منتصف الطريق شعر بالتعب والارهاق، لكنه أصرّ على إكمال سيره كيما يحصل على أكبر مساحة ممكنة من الأرض، ويستفيد من العرض قدر الامكان. وما أن حلّ بعد الظهر، أدرك بأن طمعه ذهب به إلى مكانٍ بعيد جدًا عن نقطة الانطلاق. وهكذا عاد أدراجه بسرعة كبيرة، وحين مالت الشمس الى المغيب، استطاع "باهوم" رؤية نقطة الانطلاق، لكنّ جسده لم يعد يتجاوب مع رغبته، فتسارعت نبضات قلبه، وخارت قواه، وسقط على الأرض ميتًا. فأتى خدمه وحفروا له حفرة بمساحة سته أقدام من الطول وثلاثة أقدام من العرض. استخدمت تلك المساحة لدفنه، فكانت قبره. ثم يعلّق الكاتب تولستوي: "هذه هي عدد الأمتار من الأرض التي يحتاجها الانسان". صلواتنا الى الله، أن يتّعظ الطمّاعون من قصة الكاتب تولستوي، حتى يشاركوا في التخفيف من آلام الناس في وطننا الحبيب لبنان.

القس سهيل سعود

فضيلة العاطفة

آمن الفلاسفة الرواقيون، بقدرة العقل على التحكّم بالعواطف والأحاسيس. وعلّموا أن الانسان الحكيم، هو الذي يحفظ نفسه ضد كل أنواع الأحاسيس التي تسبّب الاضطرابات للنفس. عزا الرواقيون قدرة الانسان على التحكّم بأحاسيسه وعواطفه الى الفضائل الأربع التالية: الحكمة، ضبط النفس، الثبات، والعدالة. كان هناك هدفان، من تحكّم عقل الانسان الرواقي بنفسه ومشاعره: الأول، التحرّر من نيران العاطفة. والثاني، التأمّل بضمير ساكن. إبتدأ القديس أوغسطينوس رواقيًا في نظرته الى الأحاسيس والمشاعر. اقتبس قول من الفيلسوف فيرجيل، "بقي عقله غير متأثّر، والدموع تذرف بلا فائدة". كان يتساءل في سنواته الباكرة، اذا ما كان من الحكمة أن تتملّكه الأحاسيس والعواطف. أراد أن يحرّر نفسه من الانزعاجات والاضطرابات التي تسبّبها العواطف، كيما يعيش بسكون وسلام الضمير. الاّ أن المبدأ الرواقي، حتّم ازالة حتى بعض الأحاسيس والعواطف النبيلة مثل عاطفة البكاء على خسارة أم أو فرد من العائلة. أو عاطفة الرحمة والشعور مع المتألمين. اعتقد الرواقي، أنه في حال القيام بأعمال رحمة ما، يجب القيام بها دون أية عاطفة وأحاسيس تجاه المتألّم.

الاّ أنه لاحقا، بينما كان يعمل القديس أوغسطينوس على كتابه "اعترافات"، أظهر تشاؤمًا في قدرة العقل الرواقي على التحكّم بالمشاعر والأحاسيس، لا سيما عندما تواجه أوغسطينوس مع موت أمه مونيكا. اعتقد أنه من غير الممكن مقاومة كل الأحاسيس والعواطف في هذه الحياة، لأننا في بعض الاوقات لا يمكننا أن نكون مجرّدين من المشاعر. قال: "ليس السؤال اذا ما كان يستطيع الانسان التجرّد من مشاعره، وانما أي نوع من المشاعر، يجب ان تكون لدينا ولأي سبب". أقرّ أنه لم يكن ممكنًا بالنسبة اليه أن يتحمّل مرارة الحزن عند موت أمه. لم يستطع التحكّم بدموعه. صلّى الى الله قائلاً، "فرحت أني بكيت أمامك. بكيت على نفسي، ولأجل نفسي. الآن، أسمح لدموعي التي حبستها في عينيّ أن تتدفّق بحريّة كما تشاء. قلبي الآن يعتمد على هذه الدموع، لأنك أنصتّ اليها، بخلاف بعض المنتقدين الذين يجدون تفسيرًا متكبرًّا لبكائي". بالرغم من بكائه على أمه مونيكا، إلاّ ان أوغسطينوس، دعا الى الاعتدال في العاطفة.

عندما سئل المصلح جان كلفن، "كيف يجب أن يستجيب الانسان المسيحي عاطفيًا، مع الآلام التي تواجهه؟ هل يجب عليه أن يتحمّل الألم بعدم مبالاة رواقية؟ أم هل عليه أن يضحك على آلامه وينظر الى اضطراباته وآلامه بخفّة؟"، فانه أجاب قائلا، " لا هذا ولا ذاك. كما أن المسيح بكى على موت صديقه لعازر، هكذا أيضًا، سوف يبكي أتباع المسيح على أحبائهم. لأن العاطفة والمشاعر، هي جزء جوهري من انسانيتنا". وأضاف، "ليس المؤمنون جذوع شجر، فصلوا أنفسهم عن المشاعر الانسانية، أو أنهم لا يتأثرون بالألم أو لا يخافون ويتأذون من الاخطار، أو لا يلمسون بالألم الذي لا يحتمل. إلاّ أنّ الايمان يخفف من وطأة الالم عليهم".

اكتشف أوغسطينوس لاحقًا، أن الرواقيين، يتحدثون بقوة زائدة عن قدرة ارادتهم وعقولهم على التحكّم بأحاسيسهم وعاطفتهم، ورأى في موقفهم غرورا وكبرياء. تحدّث في كتابه "مدينة الله"، عن فقدان العقل الانساني لوضوح الرؤية، والخلل في الارادة الانسانية بسبب الخطيئة الأصلية. الاّ أنه بشّر بقوة النعمة الالهية. ميّز بين أنواع المشاعر والعواطف التي تنتاب الانسان. قال "الأمر المهم هنا هو نوعية ارادة الانسان. فإذا ما كانت الارادة منحرفة، فالمشاعر والأحاسيس تكون منحرفة. واذا ما كانت العاطفة بارّة، ستكون المشاعر والأحاسيس ليست فقط بلا لوم، وانما مستحقة المدح".

تغيّر مفهوم "الفضيلة" بالنسبة لأوغسطينوس، عند تحوّله للايمان المسيحي. بعد أن كانت "الفضيلة"، هي القدرة على التحكّم بالمشاعر والتجرّد من العاطفة، فقد أصبحت الفضيلة، هي التعبير عن العاطفة وسمة مشرّفة تستحق الثناء والتقدير. وجد اوغسطينوس، أن جدلية الرحمة في المفهوم الفلسفي الرواقي هو مفهوم متصنّع لأنه لا يتضمن اهتمامًا حقيقيًا أو عاطفة حقيقية. قال: "ما هي الرحمة، إلاّ انها نوع من المشاعر والعاطفة الصادقة في قلوبنا للتجاوب مع بؤس الآخرين الأمر الذي يحثّنا على مساعدتهم ان كنا نستطيع. جادل، أن الناس الرحماء هم الذين يشعرون بقلوبهم بآلام وبؤس الناس. فيندفعون للمساعدة، ومدّ يد العون لهم. تحدث عن ثلاثة مراحل تقتضيها العاطفة. الأولى، التواجه مع بؤس المتألّمين، والذي يحرّك النفس فجأة. الثانية، خضوع العاطفة للتبريرات الصحيحة. قال، "الاندفاعة هي خادمة السبب الصحيح". الثالثة، ترجمة العاطفة باتخاذ خطوات عملية. آمن أوغسطينوس، ان سبب تقديرنا للرحمة ينبع من العدالة، لأن الرحمة الحقيقية مطلوبة من قبل عدالة الله. عرّف القديس أوغسطينوس الفضيلة على أنها، "نوعية تفكير جيدة، يعيش الانسان بصلاح من خلالها. لا يستخدمها أحد بشكل جسدي. يعمل الله من خلالها فينا، وبدوننا". قال، "المسيحي هو ذهن يفكّر من خلاله المسيح. هو قلب يحب من خلاله المسيح. هو صوت يتكلم من خلاله المسيح. هو يد يساعد من خلالها المسيح".

أما نحن في وطننا الجريح لبنان، وآ أسفاه، ماذا نقول عن مسؤولي بلادنا الرواقيين المجرّدين من أية عاطفة تجاه شعبهم. كم تنقصهم فضيلة العاطفة. لم يعد ممكنا ايجاد كلمات مناسبة لوصف مدى قساوة قلوبهم، وفقدانهم للرحمة، وعدم مبالاتهم ببؤس شعبهم ودموع المتألمين التي تذرف يوما بعد يوم. يا رب شدّد شعبنا اللبناني المتألم، واحفظ وطننا الحبيب لبنان.

القس سهيل سعود

دموعكم يا أهالي ضحايا ٤ آب عزيزة على قلوبنا

إن ما يميّز الإنسان عن الحيوان هو، قدرته على البكاء وذرف الدموع. حاول الباحثون ، منذ ١٥٠٠ سنة قبل المسيح، معرفة مصدر الدموع في جسم الإنسان. وقد برزت عدة نظريات. اعتقد أبقراط، أبو الطبّ، أن الذهن هو الذي يطلق الدموع. لم تعرف حقيقة مصدر الدموع، إلاّ في العام ١٦٦٢، عندما اكتشف العالم الدانماركي، نايلس ستانس، أن هناك غدّتين: واحدة فوق كلّ عين، مسؤولتين عن توليد واطلاق الدموع. وقد اعتقد أن سبب تسرّب الدموع، هو لإبقاء العينين في حالة من الرطوبة.

هناك فرضيّتين حول لماذا يبكي الإنسان: الأولى، أن الدموع تساعد الباكي على استعادة بعض الراحة. والثانية، أن الدموع هي إشارات للآخرين، تشير الى عدم قدرة الإنسان متابعة التأقلم مع ظروفه الصعبة التي يمرّ بها. للبكاء تأثير فيزيولوجي على الجسم، لأنه يُطلِق مادة كيميائية تستطيع أن تحسّن مزاج الانسان. اعتقد أبقراط، أن مهمّة البكاء، هي إزالة الغضب والمرارة من الدماغ. اعتبر الدموع وسيلة قوّية من وسائل التواصل الإجتماعي، إذ بطريقة غير لفظيّة، يطلب الباكي من الآخرين حوله مساعدته وتشجيعه. رأى القديس توما الأكويني أن الدموع تخفّف الألم. فالأمور المؤلمة تصبح، أكثر ايلاما، إذا ما كبتناها في داخلنا. لكن إذا ما فتحنا لها نافذة من عيوننا، وسمحنا لها بالخروج من داخلنا، فإنها تخفّف من الآمنا. كتبت الكاتبة إيلاّ ويلر ويلكوكس، عام ١٨٩٢، قصيدة بعنوان "سيّدة الدموع"، تحدّثت فيها، عن القوّة السريّة التي تحملها الدموع، اذ أنها تخفّف من إنكسار القلب. ذكرت في قصيدتها، "إن الدموع المرّة-الحلوّة، تحمل لنا بعض الراحة". يعتقد الدرسون، ان الدموع تساعد المتألم على إيصال ما يشعر به، بطريقة تعجز اللغة عن ايصالها.

يخبرنا الكتاب المقدس أن الملك حزقيال، أحد الملوك القلائل الصالحين، كان يتخبّط في صعوبات نفسية كبيرة جدًا، بسبب متغيّرات وصعوبات سياسية، فصلّى إلى الله بدموع طالبًا منه، أن يسعفه ويعينه في حالته وحالة بلاده الصعبة. فاستجاب له الله قائلاً: "قد سمعتُ صلاتك. قد رأيتُ دموعك" (٢ملوك٢٠: ٥). هذا يعلّمنا أن للدموع الصادقة قدسيّة عند الله. الدموع الأمينة عزيزة على قلبه. يقول الكاتب واشنطن إيرفيغ، "هناك قدسيّة في الدموع. الدموع تتكلّم بشكل أوضح من عشرة آلاف لسان. فقطرات الدموع هي رسُل الألم الساحق".

من الأمور التي استرعت بشدّة انتباه الملك سليمان الحكيم، "دموع المظلومين". دموعهم حرقت قلبه، وجيّشت مشاعره وعطفه نحوهم، فقال: "ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجري تحت الشمس. فهوذا دموع المظلومين ولا معزّ لهم، ومن يد ظالميهم قهرٌ. أما هم فلا معزّ لهم" (الجامعة٤: ١) الأمر الذي آلم الملك سليمان الحكيم، هو أن هناك من أبكى وظلم وقهر أناسا مساكين، فتركوا لوحدهم، ولم يجدوا من يواسيهم ويعزّهم وينصفهم ويحامي عنهم ويمسح دموعهم. اعتبر الحكيم هذا الأمر من أكثر مظالم الأرض.

تذكّرني مجزرة المرفأ الشنيعة في ٤ آب بمجزرة بيت لحم على زمن ولادة المسيح، ودموع وبكاء الأمهات والآباء وأهالي ضحايا ٤ آب، بدموع وبكاء أمهات وآباء أطفال بيت لحم على أولادهم. ان الذي سبّب تلك المأساة آنذاك، حاكم متسلط هو هيرودس الملك، أراد ان يحافظ على سلطته ونفوذه مهما كان الثمن، وان كان على حساب دم أطفال أبرياء . فبمجرد سماع هيرودس بخبر ولادة يسوع المسيح كطفل ملك بحسب النبوءات، شعر أن المولود قد ينافسه فيخسر سلطته وعرشه الذي أراد أن يورّثها، لأولاده وأحفاده، فارتكب مجزرة وحشية اذ، "قتل جميع الصبيان الذين في بيت لحم وفي كل تخومها، من ابن سنتين فما دون" (متى ٢: ١٦). يدوّن البشير متى ردة فعل الأمهات والآباء على خسارة أولادهم، فيقول، "صوت سمع في الرامة نوح وبكاء وعويل كثير. راحيل تبكي على أولادها ولا تريد أن تتعزى، لأنهم ليسوا بموجودين" (متى ٢: ١٧-١٨). ان الجشع للسلطة والتشبّث بالكراسي، الذي سبّب مجزرة بيت لحم، شبيه الى حد كبير بسبب مجزرة ٤ آب، هذا بالاضافة الى الاهمال وعدم المسؤولية والفساد الذي يطال معظم أفراد طبقتنا السياسية، وهو أيضا السبب نفسه وراء اصرار الطبقة الحاكمة على عدم رفع الحصانة على كل من ادّعى عليهم القاضي بيطار، لمعرفة الحقيقة الخفية وراء هذا الانفجار.

لقد حرقت دموع أهالي ضحايا المرفأ، قلوبنا وقلوب العالم أجمع، ما عدا قلوب مسؤولينا غيرالمسؤولين، الذي باتوا بلا قلب. دموعكم مقدسة يا أهالينا المظلومين ضحايا مجزرة ٤ آب. دموعكم عزيزة على قلب الله، وعلى كل لبناني أصيل. يا رب ارحم شعبنا المجروح، ووطننا الجريح لبنان.

القس سهيل سعود

"قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص"
(فيلبي ٤: ١٢)

اذا ما أصغيت الى أحاديث الأكثرية الساحقة من الناس في الشارع في هذه الأيام، فان الموضوع الواحد الأوحد الذي تسمعه على شفاههم، هو موضوع الأحوال المعيشية التي نعيشها في وطننا الحبيب لبنان. فترى كم فعلت هذه الضائقة المالية الخانقة فعلها، اذ نزعت البهجة من وجوه اللبنانيين واللبنانيات، والحيوية من حياتهم، وأردتهم فريسة للقلق والاحباط، وذلك بعد أن كان معظمهم يعيشون في بحبوحة، ومستوى معيشي جيّد. واذا ما استرسلت في الاصغاء، تسمعهم يعملون على تضييق لائحة الأولويات المعيشية، ليستغنوا عن أمور كانوا يعتبرونها سابقا من الأولويات، مثل الكهرباء، والأطعمة المغذية من لحومات متنوعة، أو فاكهة، أو حتى كهرباء الاشتراك للكلفة الباهظة، لتفقد اولويتها، ويكتفوا بما هو ضروري جدا، للبقاء على قيد الحياة.

يخبرنا الرسول بولس، في رسالته الى أهل فيلبي، أنه واجه خلال حياته تقلبات وتغيّر في أحواله المعيشية. اذ مرّ بفترات كان يعيش فيها حياة شبع وفيض، ومرّ بفترات أخرى عاش حياة العوز والجوع والنقص في ضروريات الحياة. لكن يخبرنا بولس انه تأقلم مع تقلّب أوضاعهز قال، "فإني قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه" (فيلبي ٤ :١١). تحمل الكلمة اليونانية المترجمة بالعربية "**مكتفياً**" معنى آخَر هو "مقتنعاً"، وكأن بولس يريد أن يقول: فإني قد تعلمت أن أكون مقتنعاً بما أنا فيه.

كانت القناعة من أسمى الفضائل في العالم اليوناني الذي عاش فيه الرسول بولس والذي قد يكون تأثَّر به إلى حدٍّ بعيد. عرّف اليونانيون القناعة، على أنها "حالة من السكينة واستقرار القلب والضمير بغضّ النظر، أو باستقلالية كاملة عن الظروف الخارجية أو الأشخاص الخارجيين الذين يؤثِّرون على حياتنا. لكنهم آمنوا أن فضيلة القناعة تنبع من الذات الإنسانية، من قدراته الذاتية وقوة إرادته في مقاومة ظروف الحياة المتقلبة. نظر اليونانيون الرواقيون إلى الفيلسوف "سقراط" على أنَّه المِثال في القناعة والقدرة على مواجهة ظروف الحياة الصعبة برباطة جأش. عندما سئل "سقراط": "من هو الإنسان الأكثر ثراء؟" أجاب: "الذي يقتنع بالقليل الذي لديه". من هنا ينبع القول المأثور "القناعة كنز لا يفنى". وعندما سئل الفيلسوف "سينيكا" الذي عاش في القرن الأول "من هو الإنسان السعيد؟ أجاب: "الذي يقتنع بحالته الحاضرة ويتصالح مع نفسه مهما تكن حالته وظروفه".

بعد أن تحوّل الرسول بولس الى الايمان المسيحي، فانه أخذ الجزء الأول من تعريف القناعة اليونانية الذي ركز على السكينة واستقرار القلب والضمير ومصالحة الإنسان مع نفسه مهما كانت ظروفه ، لكنه رفض الجزء الثاني الذي ركز على أن مصدر هذه القناعة قوة الإنسان الذاتية الداخلية، ليستبدلها بأن مصدر هذه القناعة والاكتفاء ليس الإنسان، بل حضور الله في الحياة. اختبر بولس ان حضور الله في حياته في يسوع المسيح، منحه قوة روحية كبيرة جعلته قادرا بهذا الحضور وبقناعته المسيحية، مواجهة كافة ظروف الحياة مهما صعبت: لهذا هتف قائلا: "**أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني**. (فيلبي ٤ : ١٣). لم يشارك بولس اليونانيين نظرتهم الايجابية جدا حول الطبيعة البشرية التي يمكن أن تقف وراء قدرة الانسان الذاتية على اعطاء السكينة لمواجهة الصعوبات. اعتقد بولس أنَّ الطبيعة البشرية فاسدة والذهن البشري مظلم. فقد وجد تلك القدرة والقوة الروحية في الايمان. يخبرنا بولس انه تعلّم أن يتأقلم مع الصعوبات. يُردِّد في عددَيْن من الرسالة الى فيلبي، أربعة أفعال تؤكِّد عملية التعلم فيقول: "**فإني قد تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه. أعرف أن أتضع وأعرف أيضاً أن أستفضل في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدربت**" (فيلبي٤: ١٢و١٣). فالأفعال الأربعة هي: تعلمت، أعرف، أتضع، تدربت. أن كلمة "أعرف" تشير بالأصل اليوناني إلى المعرفة النابعة عن الاختبار الشخصي وليس المعرفة النظرية والفكرية. أيضا قال: "**في كل شيء وفي جميع الأشياء قد تدربت أن أشبع وأن أجوع وأن أستفضل وأن أنقص**" (فيلبي ٤: ١٢). لقد مرَّ بولس بأيام مريحة وأيام صعبة، أيام رخاء وأيام شقاء، أيام كان فيها يشبع، اذ كان الطعام متوفراً بوفرة وفضل عنه الطعام. تستخدم كلمة "أشبع" باليونانية لوصف تسمين الحيوانات وتغذيتها بالطعام الكثير لتسمّن فتجهز للذبح كما ذبح العجل المسمّن للابن الضال في (لوقا ١٥: ٢٣). لكن بعد أن مرَّ بأيام شبع لتوفر الطعام الكثير وكان مقتنعا ومتأقلماً، فإنه بعد ذلك مرّ بأيام صعبة كان فيها يجوع إذ لم يكن الطعام متوفراً لسد جوعه وكان يعاني من نقص في المواد الغذائية. وبالرغم من ذلك كان مكتفياً بما هو فيه وراضياً ومقتنعاً بالقليل الذي لديه.

بالطبع نحن لا نريد أن نقتنع بالحالة المزرية والأزمة الاقتصادية الخانقة، التي أوصلنا اليها معظم أفراد الطبقة السياسية الحاكمة الفاسدة والفاشلة، التي دمّرت شعبنا وأذلّتهم وتذلّهم يوميا بطرق متنوعة، بل يجب محاسبتهم. لكن أيضا، أيها اللبنانيون واللبنانيات، فان الرسول بولس قد يحمل لنا من اختباره الروحي، خبرة حياتية قد تفيدنا في هذه الأيام الصعبة، حتى يمنحنا الله بحضوره في حياتنا القدرة على التأقلم مع أوضاعنا الصعبة، لأن البديل الآخر لعدم التأقلم هو الانهيار النفسي وخيارات سيئة جدا لا نتمنى أن يلجأ أحد اليها.

القس سهيل سعود

قرار السلام هو الأصعب من قرار الحرب
السياق السياسي لدخول المسيح الى أورشليم

عندما قرّر المسيح التوجّه الى مدينة أورشليم ومنها الى الجلجثة، كانت الأجواء السياسية مشحونة ومهيّئة للحرب والمواجهات. كان الشعب اليهودي يعيش تحت ضغوطات سياسية كبيرة، بسبب رزوحهم تحت سيطرة الحكم الروماني. كانوا ينتظرون بشوق تلك الساعة إذ ظنّوا ان الله سيرسل لهم المسيّا المخلّص كقائد عسكري يقوم بثورة داخلية للإطاحة بالحكم الروماني، كيما يستعيدوا سيادتهم وحكمهم الذاتي على أراضيهم. وعند دخول المسيح الى أورشليم، ظنّ الكثير من الشعب بأنها قد أتت الساعة، وحلّت الفرصة المنتظرة، لأنهم رأوا في المسيح قائدا عسكريا، يتمتّع بقدرات روحية وعجائبية هائلة. يخبرنا إنجيل يوحنا، أنه عندما صنع المسيح أعجوبة إشباع خمسة آلاف شخص من خمسة أرغفة شعير وسمكتين، فإنهم إندهشوا من قدراته، وأرادوا أن ينصبّوه ملكًا عليهم، لكن المسيح لم يرد. يذكر النص: "وأما يسوع، فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكًا، إنصرف أيضًا الى الجبل وحده" (يوحنا ٦: ١٥). وللقدرات المميّزة التي إختبرها الشعب في المسيح، فإنه عندما دخل الى أورشليم، فإنهم إستقبلوه إستقبال الملوك الفاتحين: فرشوا ثيابهم في الطريق، لوّحوا بأغصان النخيل، هتفوا قائلين: "أوصنّا لابن داود، مباركة مملكة أبينا داود الآتية، باسم الرب". فالملك داود هو أعظم ملك في تاريخ اليهود، لانه الذي صنع الوحدة بين أبنائهم وبناتهم، بتوحيد مملكتي يهوذا واسرائيل في مملكة واحدة. إنّ هتافهم بكلمة "أوصنّا" وباللغة الارامية "أوشعنا" التي منها انحدرت تسمية أحد الشعانين، تعني: "يا رب أنقذ. يا ربّ خلّص"، هي مأخوذة من المزمور الملوكي المئة والثامن عشر، الذي ينشد في إحتفالات انتصار الملوك في المعارك كشكر لله على إنتصارهم. وبالتالي، كانت صرختهم أنقذنا، وخلّصنا يا يسوع من تلك السلطة المستعمرة. إنها صرخة شعب يريد الحرية والخلاص من تحكّم النظام الروماني في مصيرهم وحياتهم. إلاّ أنه بالرغم من أن الأجواء السياسية كانت مهيّئة للحرب، لكن المسيح إختار أن لا يشعل فتيل الحرب، لأنه لم يأت الى عالمنا ليصنع الحروب، التي تدمّر حياة الناس وتسبب المآسي والأحزان، بل ليصنع السلام الالهي الذي يفوق كل عقل.

يظن البعض أن صنع السلام هو القرار الأسهل. يفتكرون أنه قرار الضعفاء الذين لا مقوّمات ولا إمكانيات لديهم لصنع الحرب، لكن هذا الأمر هو غير صحيح في كثير من الأحيان. فقرار صنع السلام هو، أصعب من قرار صنع الحرب. فكم من القادة والناس، هم عاجزون عن صنع السلام. عاجزون عن التواصل وإيجاد الحلول وتقريب وجهات النظر، عاجزون عن التواضع والتنازل من أجل المصلحة العامة. وهذا ما نشهده في أيامنا هذه في الحرب الروسية -الأوكرانية اليوم. قالت المربيّة بيتي ريردون، "صنع السلام هو نهج الشجعان"، وهذه حقيقة صحيحة. يتطلّب قرار صنع السلام: الجرأة والتواضع والغفران، والاستعداد لدفع الثمن. لم يصدر قرار المسيح بصنع السلام، من ضعف بل من قوّة. لم يصدر من عدم قدرة المسيح على مواجهة قدرات اليهود والرومان معا. يخبرنا إنجيل متى (٢٦: ٥٣)، أنه عندما ألقي القبض على يسوع لاقتياده للمحاكمة، قطع تلميذه بطرس بالسيف، أذن أحد عبيد قائد المئة. فاستاء يسوع من تصرفه وقال له: "رُدّ سيفك الى غمده. أتظن أني لا أستطيع الآن أن أطلب الى أبي، فيقدّم لي أكثر من إثني عشر جيشًا من الملائكة (لمساعدته) ؟" بالطبع، كان المسيح قادرًا على صنع الحرب. لكنه اختار صنع السلام.

إنّ دخول يسوع الى مدينة أورشليم، على ظهر حمار، وليس على ظهر حصان، هو أحد الأدلة لاختياره قرار السلام على الحرب. يشير إمتطاء الأحصنة إلى المشاركة في الحروب، ويشير الركوب على الحمير إلى صنع السَّلام. لم يرد يسوع أن يدخل بين هتاف الجنود، بَل بَيْن هتاف الجموع والأطفال المرنمين أوصنا في الأعالي. لَم يرد أنْ يلوّح له بالرماح والسيوف، بل أراد أنْ يلوّح له الأطفال بأغصان النخيل والزيتون. لم يرد أن يدخل ليتوَّج بإكليل مِن ذهب كما يحصل للملوك، بل أراد يتوَّج بإكليل من شوك يدمي رأسه من أجل خلاص تالبشرية. لقد تنبّأ عن مهمة وقرار السلام الذي جاء يسوع ليصنعه، النبي زكريا عدّة قرون قبل حلول الحدث، قائلا : "إبتهجي جدًا يا إبنة صهيون. إهتفي يا بنت أورشليم. هوذا ملكك يأتي إليك. هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان... ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه: من البحر الى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض"(زكريا ٩: ٩-١٠). لم يأت المسيح الى عالمنا، ليؤسّس مملكة زمنية، على دماء الناس وصراخ الأطفال وعويل الأمهات، بل ليؤسس مملكة روحية، تقوم على قوة التغيير الذي يجريه المسيح بالايمان ، في حياة الانسان. لقد دخل المسيح الى أورشليم، ليتوجه نحو صليب الجلجثة، لأنه أدرك تماما، أن صنع السلام يبدأ من الصليب .

القس سهيل سعود

كايروس التغيير

من اللاهوتيين القلائل الذين إتخذوا مواقف جريئة وصارخة ضد الظلم والاستبداد أبآن الحكم النازي، اللاهوتي الانجيلي القس ديتريش بونهوفر. بعد إكتشاف السلطات النازية، موافقة بونهوفر على خطة أعدّتها مجموعة من الشرفاء للتخلّص من إستبداد الديكتاتور أدولف هتلر، فإنها ألقت القبض عليه وزجّته في السجن، ثم أصدرت بحقه حكم الاعدام. إعتقد بونهوفر، أنه إن لم يكن الاعلان الالهي متجسّدا في التاريخ والمجتمع، فإنه لن يكون هناك علاقة حقيقية بين الله والانسان، لهذا دعا الى ربط اللاهوت بالمجتمع. من إهتمامات بونهوفر، رصد مكانة الاعلان الالهي في إختبار الانسان الواقعي. رأى أن الاعلان الالهي والايمان يهتمان بالعلاقات الأخلاقية الصادقة بين الناس. من كتبه كتاب بعنوان، "الحياة معا". تحدّث بونهوفر عن ما أسماه "علاقة أنا-أنت"، أو أنا والآخر. قال، "يأتي الله الى الآخر، وفقط بعمله يصبح هذا الآخر، آخر لي". مما ذكره، "في محور وجودي، هناك حدود تعرّفني كإنسان. وفقط بإختبار هذه الحدود، تنشأ معرفتي الذاتية كإنسان زائل". وصف بونهوفر "علاقة أنا-أنت"، بقوله: "هذه العلاقة تصنعني كإنسان مختلف عن الآخر. والآخر يحدّدني بوجوده. إلاّ انه في الوقت نفسه، فإني أعطى وجودي من خلال الآخر، هذا إذا ما أعطاني الآخر مساحة لأوجد، وإذا ما كان الى جانبي في المحبة".

تحدّث بونهوفر عن ما أسماه ازمنة الكايروس. ميّزت اللغة اليونانية، نوعين من الوقت أو التوقيت. الأول، وقت ال Chronos، الذي هو الوقت العادي الروتيني، وقت تعاقب السنين والأشهر والأيام والساعات. الثاني، وقت ال Kairous الذي هو الوقت الاستثنائي فوق العادي، وقت الفرص الذهبية. إستخدمت كلمة Kairous باليونانية، للتحدث عن الأوقات المثمرة، مثل: أوقات نضوج الثمار، والحصاد. عندما أراد الرسول بولس، حثّ اعضاء كنيسة أفسّس على السلوك بتدقيق والتصرّف بحكمة، ومحاولة فهم مشيئة الله لهم في الأيام المضطربة الشريرة التي يعيشوها، فقد إستخدم كلمة "كايروس" اليونانية. إن العبارة المستخدمة بالترجمة العربية هي، "مفتدين الوقت". قال لهم بولس، "فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق، لا كجهلاء بل كحكماء، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة. من أجل ذلك لا تكونوا أغبياء، بل فاهمين ما هي مشيئة الرب" (أفسس ٥: ١٥-١٧). طلب بولس من الأفسسيين إفتداء الوقت، أو تخليص أكبر قدر ممكن من كرونوس الأيام الشريرة، وإعتبارها أوقاتا كايروسية إستثنائية وفرصا ذهبية فوق عادية للتغيير في تفكيرهم وسلوكهم. بحيث لا تكون تصرفاتهم بجهل بل بتدقيق في الحياة، ولا تكون أفكارهم غبية، بل حكيمة، كيما يفهموا مشيئة الرب في حياتهم. وبالتالي، أراد بولس أن يقول للكنيسة الأفسسية، أن يعتبروا أنفسهم في زمن الكايروس، كايروس التغيير والخيارات الصحيحة لمعرفة مشيئة الرب.

حاول اللاهوتي ديتريش بونهوفر، رصد الطريقة التي يتّخذ فيها الاعلان الالهي شكلا ملموسا في العالم، أبّان الحكم النازي. إعتقد أنه فقط في المسؤولية والتجاوب مع الحاجات الماسة، يصبح الانسان مدركا بشكل كامل إرتباطه بزمن الكايروس، وفي زمن الكايروس يخرج معنى الوجود الى العلن. عرّف زمن الكايروس بقوله، "ليس الكايروس مدة معيّنة من الزمن، لكن يجد معناه في الأشخاص. وليست لحظة الكايروس، هي الجزء الأصغر من الوقت ، وكانها ذرّة تفهم بشكل أوتوماتيكي، لكنها وقت المسؤولية والعلاقات الصادقة. إعتقد أنه في زمن الكايروس، لا تاتي الدعوة بشكل مبهر ومشهدي، وإنما تأتي في مطلب الآخر الذي يطلب العدالة والانصاف وإحقاق الحق. إعتقد أنها بالنهاية دعوة الله، لأنه عندما يدعى الشعب الى التغيير، تصبح إرادة الله تشكّل التاريخ، ويصبح للتغيير معنى.

بينما يقترب كايروس الاستحقاق الوطنى للانتخاب في ١٥ أيار، يسعى الكثيرون لا سيما من فئات الطبقة الحاكمة الفاسدة والمفسدة والساكتة على الفساد، التشييع أنه لن يكون هناك أي تغيير، وذلك بقصد إحباط عزيمة اللبنانيين، وثنيهم عن الذهاب الى صناديق الاقتراع، للتعبير عن آرائهم في ذلك اليوم الوطني بإمتياز. للأسف، إنّ نفس تلك الطبقة السياسية الفاقدة لثقة اللبنانيين، التي حكمت لبنان لسنين عديدة، وأفقرت اللبنانيين، ونهبت أموالهم، وهجّرت أولادهم، وسبّبت بإهمالها وتقاعسها الانفجار الهيروشيمي المشؤوم الذي أودى بحياة أكثر من ٢٢٠ قتيل وآلاف الجرحى، ودمّر نصف بيروت ، فإنها هي نفسها التي لا تريد أي تغيير، كيما تستمر في منهج تدمير ما تبقى من هذا الوطن الحبيب الغالي على قلوبنا جميعا.

ربما لا يعرف معظم أفراد تلك الطبقة التي فشلت في ادارة البلاد، بالقول الفائق الأهمية للفيلسوف اليوناني هيرقليتوس، "أن التغيير هو الشيء الوحيد الثابت في الحياة". لذا نناشدكم يا مواطنينا ومواطناتنا اللبنانيين واللبنانيات، كيما تجعلوا من يوم الانتخاب في ١٥ أيار، إحتفالا وطنيا. ليكن ذلك اليوم، يوما كايروسيا ذهبيا للتغيير. ليكن يوم العلاقات الصادقة، والخيارات الصحيحة الحكيمة التي تغيّر وجه لبنان. ليكن ذلك اليوم يوم المسؤولية، والتجاوب مع مطلب الأكثرية الساحقة من اللبنانيين والعالم لاستعادة العدالة العادلة وإحقاق الحق. دعونا نتوجّه بأعداد كبيرة صاعقة الى صناديق الاقتراع في ١٥ أيار، لنقترع للبنان الجديد، ليكون لنا دولة سيّدة مستقلة ذات كرامة، علّنا بمعونة الله، نساهم في صياغة التاريخ وتشكيل مستقبل أفضل لنا ولأولادنا.

القس سهيل سعود

كيف اكتسبت ملكة بريطانيا لقب "الحاكم الأعلى لكنيسة انكلترا؟

خلال زمن الاصلاح الانجيلي في القرن السادس عشر، وأثناء حكم الملك الكاثوليكي هنري الثامن، لانكلترا بين الأعوام (١٥٠٩-١٥٤٧)، أراد الملك الطلاق او ابطال الزواج، من زوجته كاثرين أراغون، لأنها لم تستطع أن تنجب له ذكرا وريثا للعرش، مع أنه كان لديه أنثى وريثة هي ماري. كانت احدى الحجج التي قدّمها، أنّ والده قد أجبره على الزواج منها خلافا لارادته. زادت رغبته هذه، عندما وقع في غرام السيدة الانجيلية الفرنسية المميّزة، آن بولين، التي دخلت إلى البلاط الملكي عام ١٥٢٢، كوصيفة الشرف للملكة كاثرين أراغون. عندها طلب في العام ١٥٢٧، من مستشاره الكاردينال توماس والسلي، القيام بكل الاجراءات الممكنة لابطال زواجه من كاثرين، ليتزوج من آن بولين. وحيث أنّ بابا روما رفض طلب الملك، فانه لم يستسلم، بل قرّر الحصول على وثيقة طلاقه مهما كلّف الأمر. وعليه، صار يعمل على انتزاع سلطة بابا روما، على كنيسة انكلترا، ليمتلكها وحده.

في ذلك الوقت كانت قد تسرّبت افكار الاصلاح الانجيلي اللوثري من ألمانيا الى انكلترا، وصار للاصلاح الانجيلي مؤيدين من ضمن اعضاء البرلمان الانكليزي. من أولى الاجراءات التي قام بها الملك هنري الثامن، للتخلّص من نفوذ البابا في انكلترا، أنه خلع فريق العمل الكاثوليكي الذي كان يعمل الى جانبه في البلاط الملكي، وعيّن مكانه فريق عمل انجيلي، أهمهم: المحامي توماس كروموال الذي عيّنه المستشار الأول للشؤون الدينية للمملكة، ومنحه سلطة أكبر من سلطة الأساقفة. وتوماس كرنمار رئيسا لأساقفة كانتربي، بعد أن توفي رئيس الأساقفة السابق. فصار كروموال يعمل على ادخال أفكار الاصلاح الانجيلي عبر قوانين الدولة، وكرنمار يعمل على ادخالها عبر الكنيسة.

ما أن استلم المحامي الانجيلي توماس كروموال منصبه، حتى باشر بإعداد كل الاجراءات والقوانين الضرورية، لرفعها واقرارها من قبل البرلمان الانكليزي، الذي هو المجلس التشريعي للبلاد. وضع كروموال موضوعين رئيسيين، هما: الأول، السلطة الملكية العليا على كنيسة انكلتر. الثاني، طلاق الملك هنري الثامن من زوجته كاثرين أراغون. عندما طرح موضوع، "السلطة الملكية العليا على كنيسة انكلترا"، على البرلمان عام ١٥٣٠، كان ردّه أنه من الناحية القانونية، لا يمكن للبرلمان أن يمنح الملك سلطة عليا على الكنيسة ، لأن هكذا قرار سيكون مخالفا للقوانين البابوية. عندها رجع القانوني توماس كروموال، الى أرشيف المملكة، فوجد أنه قد حصلت سابقة قبلا في هذا الأمر، اذ كان الملك ريتشارد الثاني قد اتخّذ عام ١٣٩٢ قرارا منع بموجبه، القضاء البابوي أو أي قضاء أجنبي آخر، من التدخّل في البلاد، كما كان قد منع أي محكمة إنكليزية، من الرجوع الى البابا في أي قضية، في حال اعتراض الملك. اتّخذ كروموال من القرار السابقة، الذي اتخذ منذ حوالي قرن ونصف، حجة قوية، كيما يستخدمها الملك هنري لرفض الاقرار، بأن سلطة البابا هي أعلى من سلطة الملك. وعليه، أصدر البرلمان الانكليزي في آذار ١٥٣١ قرارا، بالتأكيد على ذلك. ثمّ سحب الملك هنري الثامن من مجلس الأساقفة، الذي كان يتمتع بادارة مستقلة، السلطة في صنع القوانين الكنسية، لتصبح السلطة في يده وحده. وهكذا، منع صدور أي قوانين كنسية جديدة، بدون موافقته. أيضا أخضع الملك قوانين الكنيسة والأديرة التي كانت تخضع للبابا، للقوانين المدنية التي تحكم البلاد. ثمّ أعدّ المستشار القانوني كروموال مشروع قرار للبرلمان، يضع قيودا على طلب كنيسة انكلترا، أي مساعدة من روما، والتالي نصّه: "إن مملكة إنكلترا هي إمبراطورية. وهذه هي مكانتها في العالم. انها تحكم من قبل الملك الذي هو الرئيس الأعلى للبلاد، الذي له الكرامة والحقوق الملكية، على كامل هذا الكيان السياسي. ويمتلك السلطة الزمنية على البلاد، والسلطة الروحية على الكنيسة. وله وحده بعد الله، الطاعة الطبيعية والمتواضعة". وبعد اقرار البرلمان الانكليزي، هذا القانون عام ١٥٣٤، أصبح الملك هنري الثامن، الرئيس الأعلى لكنيسة انكلترا. وقد أرفق البرلمان، بقوانين تجريمية بحق من يخالفه باتهامه بالخيانة. وفي العام ١٥٣٦، ألغى البرلمان، الجزء الأخير من سلطة البابا في إنكلترا، حول المسائل المتعلقة بالكتاب المقدس والتعليم، فأضحى للملك هنري الثامن، سلطات استثنائية، ليس فقط في إدارة الكنيسة وتعيين أساقفتها والتحكم بقوانينها، وانما أيضًا، سلطة تعليمية عقائدية.

وما أن تكرّس توماس كرنمار رئيسا لأساقفة كانتربري، بعد تعيينه من قبل بابا روما، حتى نفّذ رغبة الملك هنري الثامن، وأعلن عن: بطلان زواجه من زوجته الأولى الكاثوليكية كاثرين أراغون، وشرعية زواجه من الانجيلية آن بولين. ثم توّج، آن بولين على عرش المملكة، كزوجة للملك. لكن عندما وضعت مولودها، عام ١٥٣٣، فوجيء بأن المولود هي أنثى. انها إليزابيث، الملكة الخامسة والأخيرة من عائلة تدور الملكية. بقيت الملكة آن بولين على العرش مع زوجها الملك هنري، مدة سنتين ونصف. ثمّ تزوّج الملك من السيدة جين سيمور، التي ولدت له الذكر المنتظر، الملك المستقبلي ادوارد الرابع.

من ناحية أخرى، تواصل القادة الثلاثة: الملك هنري الثامن، والمستشار القانوني توماس كرنمار، ورئيس أساقفة كانتربري توماس كرنمار مع بعض المصلحين الانجيليين في ألمانيا وأوروبا، لا سيما المصلحين: فيليب ميلنكثون ومارتن

بوتسر، لمعرفة رأيهما حول امكانية ان يكون للملك السلطة العليا على الكنيسة. لم يعارض ميلنكثون الفكرة، من الناحية الكتابية واللاهوتية، بل أشار في مراسلاته معه، الى سفر إشعياء النبي، الذي يتحدّث عن مسؤولية الملوك، في حماية الذين يعملون على نشر العقيدة الصحيحة(إشعياء٤٩: ٢٢-٢٣). أرسل ميلنكثون رسالة للملك، ذكر له فيها : " الملوك الأتقياء، هم الذين يقومون بحماية الكنيسة وجماعة الايمان، ضد ما يتعرضون له، من ظلم واضطهاد في سبيل نشر العقيدة الصحيحة". اعتقد ميلنكثون، أنه اذا ما كان الملوك على شاكلة الملك داود، فانهم يستطيعون فهم الشريعة الإلهية، والحفاظ على العدالة والسلام، ليس فقط في بلادهم، وإنما في العالم. لهذا دعا المصلح ميلنكثون الملك هنري الثامن، الى لعب دوره كملك، شبيه بملوك الكتاب المقدس، في نشر الايمان الانجيلي الصحيح، وحماية الإنجيليين الذين يبشّرون بالعقيدة الصحيحة في انكلترا، ويعملون على ازدهار البلاد. أوضح ميلنكثون للملك، أنه، يجب على الشعب طاعة الحكّام، بسبب توصيات وتعاليم الكتاب المقدس. الاّ انهم، اذا ما علّموا وعملوا، ضد تعاليمه، فلا شيء يلزمهم بطاعتهم، لأنه للكتاب المقدس فقط، السلطة على ضمائر جماعة الايمان".

وبعد أن حكم الملك الانجيلي الشاب ادوارد الرابع لفترة قصيرة، وبعده الملكة الكاثوليكية ماري الأولى ، حكمت الملكة الانجيلية إليزابيت الأولى. في العام ١٥٥٩ أوصى "مجلس العموم"، باصدار قرار يمنح السلطة الملكية العليا، الى الملكة اليزابيت، كيما يطلق عليها لقب، "الرأس الأعلى للكنيسة"، كما كان الحال مع الملك هنري الثامن، فلقيت التوصية معارضة شديدة في مجلس اللوردات، قادها عشرين أسقفًا كاثوليكيًا. صدر على أثرها تسوية على اللقب، فصدر القرار اللاحق بتسميتها، "الحاكم الأعلى، لكنيسة إنكلترا" (أو الكنيسة الأنجليكانية). نال اللقب الجديد رضى الأفرقاء المتنوعين في الكنيسة لسببين: الأول، لأنه أرضى الذين اعتقدوا، أنه لا يمكن لإمرأة أن تحكم الكنيسة. والثاني، كان القرار طريقًا وسطيًا للتصالح مع رجال الدين الكاثوليك، لأن معظمهم كان قد رُسِم بناء للطقس الروماني. وعندما حان الوقت من أجل رسامة رئيس أساقفة كانتربري الجديد، ماثيو باركر، لم تلجأ الملكة اليزابيت الى بابا روما لرسامته، لكنه رسم بواسطة أسقفين انكليز، كانا قد رسما في منتصف العام ١٥٣٠، بواسطة رئيس الأساقفة السابق توماس كرنمار.

يتم التداول على وسائل التواصل الالكتروني عن الملكة الراحلة اليزابيت الثانية، قولها: "شهوتي أن يأتي المسيح وأنا على قيد الحياة، حتى أضع تاجي عند قدميه".

القس سهيل سعود

لا تشمت بسقوط خصمك، المهم نجاح الوطن

بعد صدور نتائج الإنتخابات النيابية ، نقرأ ونسمع ونشاهد عبر الجرائد وشاشات التلفزة، ووصائل التواصل الإجتماعي، الكثير من الشماتة والشمّاتين، الذين يتغنّون بنجاح حلفائهم، ويشمتون بسقوط خصومهم. كما نسمع آخرين لا يريدون الإقرار بالواقع الجديد الذي أفرزه صناديق الإقتراع، الأمر الذي يزيد من حدّة التوتر بين اللبنانيين واللبنانيات. فطبيعة البشر الخاطئة الفاسدة المجبولة بالآثام والخطايا، هي طبيعة فضائحية، تتلذّذ بالفضائح والهزائم، وتتمتّع بالشماتة بالآخرين.

تعني كلمة "شماتة"، الفرح بسقوط الآخر. يتحدّث النبي ميخا في الاصحاح السابع من سفره، عن شماتة البابليين بشعبه، عندما سقط ووقع بين أيدي قوات الملك البابلي، الذي قتل منهم وسباهم الى مدينة بابل. يخبرنا النبي ميخا، انه بسبب كثرة خطايا الشعب، ووثنتيهم وابتعادهم عن الله، وممارستهم للظلم والفساد والرشوة، طفح كيل الله من شرورهم، فسمح بسقوطهم وخزيهم كقصاص لهم على سوء سلوكهم، كيما يعلّمهم درسا بوجوب البقاء أمناء لايمانهم به، وحفظهم لوصاياه. لكن بابل شمتت بأورشليم، وفرح البابليون بالسقوط الذي تعرّض له الأوروشليميون. قال النبي ميخا، "ولكنني أراقب الرب، أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوّتي، إذا سقطتُ أقوم. إذا جلست في الظلمة، فالرب نورٌ لي" (ميخا٧: ٧-٨). إنّ الأسماء والأفعال في اللغة العبرية الأصلية، هي بصيغة المؤنث. فالعدوّة هي مدينة بابل، والمتذّمرة من السقوط هي مدينة أورشليم. وبالتالي، يصوّر ويشخّص النبي ميخا، مدينتي بابل وأورشليم وكأنهما إمرأتين، تتحارجان مع بعضهما. تسأل أورشليم عدوتها بابل، لماذا تفرحي ببليتي وتشمُتي بي؟ تقول لها: " لا تشمتي بي يا عدوّتي". فأورشليم، لن تبق ساقطة الى الأبد، بل أن سقوطها هو مرحلة مؤقتة. هناك رجاء وتعزية حتى في وقت السقوط. يذكر العدد التاسع، أن أورشليم تقرّ بذنوبها، تعترف بخطاياها وأخطائها وتتوب عنها. يذكر النص، "أحتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه، حتى يقيم دعواي ويُجري حقي. سيخرجني الى النور. سأنظر برَّه" (ميخا٧: ٩). ولأنها أقرّت بذنوبها واعترفت بخطاياها، فهي تراقب الرب وتصبر لاله خلاصها، وتسمع له.

يقول الملك سليمان الحكيم، في سفر الأمثال، "لا تفرح بسقوط عدوّك ولا يبتهج قلبك إذا عثر، لئلا يرى الرب ويسوء ذلك في عينيه، فيردُّ عنه غضبه" (أمثال٢٤: ١٧-١٨).عندما نتّخذ موقف الشماتة والفرح بسقوط الآخرين، فان موقفنا السلبي هذا، يسوء في عينيّ الله. إن حياة الحقد والعداوة والشماتة بسقوط الآخرين، قد يجلب لنا البهجة لفترة قصيرة، لكن مشاعر الحقد والعداوة والشماتة تجعل من حياتنا بائسة. يقول المصلح جان كلفن، عندما يزدري الناس بإيماننا ويشمتون لسقوطنا، فهذا يولّد فينا مشاعر مريرة وأليمة، لكن الله مستعد بنعمته، ليقيمنا ثانية من سقوطنا، اذا ما رجعنا اليه بالتوبة. يعلّمنا كلفن الموقف الصحيح، الذي يجب أن نتّخذه عند السقوط، فيقول "إفتكر إنها إرادة الله، أنه يجب أن أسقط. لكن ايضا إنها إرادة الله أن أقوم ثانية. فلا داعي للشماتة بي والفرح لسقوطي. صحيح أنا الآن أسكن في الظلمة، لكن سأنظر برّ الرب. لن أسقط الى ما تحت، لأنّ يدّ الله ستعضدني وتعينني، لأقوم ثانية".

إنّ الوطن إخوتي وأخواتي اللبنانيون واللبنانيات، هو في هذه المرحلة الدقيقة التي نمرّ بها، في أشدّ الحاجة لرصّ الصفوف، والتوحّد من أجل بناء وطن أفضل. لهذا نأمل من جميع المواطنين والمواطنات أن يكونوا حكماء، ويحافظوا على رباطة جأشهم ويضبطوا ألسنتهم وأعصابهم، ولا يشمتوا بسقوط الآخرين، لأنه ليس المهم نجاح فئة وسقوط أخرى، لكن المهم هو نجاح الوطن.

القس سهيل سعود

لا يجرّد القلق المستقبل من آلامه، وإنما الحاضر من قوّته

تعاني الأكثرية الساحقة من اللبنانيين واللبنانيات في هذه الأيام، من القلق الشديد والهموم المتزايدة والمتراكمة، بسبب الوضع المأساوي والذلّ الذي أوصلنا إليه الطبقة السياسية الحاكمة عبر السنين التي كانت بمعظمها فاسدة ومفسدة، وحامية للفساد. يقلق اللبنانيون على أبسط الأمور المعيشية، من تأمين رغيف الخبز الى تأمين الماء والكهرباء، والحليب للأطفال، وتعليم الأولاد في المدارس والجامعات، والدواء، لا سيما أدوية الحالات المستعصية، إذ نسمع يوميا إستغاثات وبكاء مرضى ومريضات السرطان يطالبون بتأمين أدويتهم، وهم يواجهون الموت باللحم الحيّ. أضف الى ذلك، قلق الشباب على تأمين مستقبلهم، وقلق المتقاعدين على مصيرهم، بعد أن خسروا القيمة الشرائية لأموالهم، أو حجزتها لهم البنوك. هذا بالإضافة الى العديد من الأمور التي تقلقهم وتقضّ مضجعهم.

تعني كلمة "القلق" بالأصل اليوناني، "الهمّ الذي يسبّب إنقساما أو تشتّتا في الفكر، بحيث يأخذ الفكر الإنسان في إتجهات متعدّدة، وهكذا يفقد الانسان تركيزه". كما تعني كلمة "القلق" ، "أن نكون غير مستريحين في فكرنا، إذ نشعر بمشاعر تزعجنا وتحذّرنا بأنّ هناك أمرا ما فينا يجب معالجته". تستخدم الكلمة في معنيين: الأول، معنى إيجابيا، أي أن يكون الانسان مهتمّا وحذرا ويقظا، لكل تفاصيل حياته. هذا في حال بقي القلق في إطاره الطبيعي. صلّى النبي داود قائلا، "الى متى يا رب تنساني كل النسيان؟ الى متى تحجب وجهك عني؟ الى متى أجعل هموما في نفسي وحزنا في قلبي كل يوم؟" (مزمور ١٣: ١-٢). أمّا إذا ما خرج القلق عن إطاره الطبيعي، تصبح الكلمة حاملة لمعنى سلبي، اذ يصبح القلق شعورا مزعجا جدا مسبّبا للضيق والاضطراب، فيخنق السعادة والراحة في حياة الانسان. في كتابه The Meaning of Anxiety "معنى القلق"، ميّز المحلّل النفسي الدكتور رولو ماي، نوعين من القلق: القلق الطبيعي، والقلق المرضي. مما ذكره في كتابه، "إنّ القلق الذي يبقى في إطاره الطبيعي هو أمر إنساني. فبعض القلق ضروري ومفيد، لأنه ينذرنا ويساعدنا لإستباق الاخطار والتعاطي مع التحديات والتهديدات التي نتعرض لها". يذكر الفيلسوف المسيحي سوران كيركيغارد، "يمكن أن يكون القلق، أفضل معلم لنا. لهذا، يجب أن نصغي الى ما يريد أن يعلّمنا. القلق يدعونا الى القيام بشيء ما لإزالته، وذلك إما من خلال إجراء تغيير ما في أسلوب حياتنا أو في علاقاتنا، أو في نظرتنا الى نفوسنا أو الآخرين أوالعالم. القلق، يحثّنا للمحافظة على الإتزان في شخصيتنا، من خلال سعينا الى معنى جديد أو هدف روحي مجيد". يرى علم النفس الوجودي، أن بعض القلق انما هو الثمن الذي لا مفرّ منه، الذي يدفعه الإنسان ليصير إنسانا حرّا خلاّقا ومسؤولا عن حياته وتصرفاته. وبالايجاز، القلق الطبيعي هو إشارة ترسلها عقولنا إلينا للقيام بتغيير ما، ولن تختفي هذه الاشارة، إلى ان نقدّم حلولا منطقية لها. أما النوع الثاني من القلق فهو، القلق المرضي الذي يخرج عن الحدود الطبيعية. يقول المحلل النفسي رولو ماي، "إنّ القلق المرضي ينشأ من تجنّبنا المستمر للقلق الطبيعي. فعندما نرفض أن نقبل القلق، كجزء طبيعي وجودي في حياتنا أو نكبته في إنكارنا للواقع والتحديات اليومية، يصبح قلقنا مرضيا يسبّب لنا الكثير من العوارض. أحد عوارض القلق المرضي، المبالغة في وصف الأمور وتخيّل أكثر الأمور سوءا، وإظهار أمور بسيطة وكأنها أمور كارثية. يضيف رولو ماي، "للقلق المرضي نتائج مدمّرة على صحتنا النفسية والعاطفية والجسدية. فهو يمنعنا من النوم، ويؤثر على الدورة الدموية والقلب والغدد والجهاز الهضمي".وبكلمة أخرى، ينهك القلق المرضي قوى وطاقات الإنسان ويشتّت فكره، ويؤثر على صحته. قال أحد الحكماء، "لا يجرّد القلق المستقبل من آلامه، وإنما الحاضر من قوّته". وهذا قول، فيه الكثير من الصحة. لا يمكن للقلق أن يغيّر الأمور. لا يفيد القلق شيئا، إنما هو مضيعة للطاقة والقوة والوقت. في عظته على الجبل قال المسيح للتلاميذ ،"ومن منكم إذا إهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة؟" (لوقا ١٢: ٢٥). وكأن المسيح يقول لنا: القلق الكثير لا يطيل لا عمر ولا قامة الانسان، يخبرنا الأطباء، بأن القلق الكثير يقصّر عمر الانسان.

عرّف أحدهم القلق، على أنه، "شعور الانسان المسبق بالألم والانزعاج، لانه يظن بأنه غير قادر على مواجهة ظروف المستقبل". وهذا هو قلق اللبنانيين واللبنانيات في هذه الأيام، شعورهم أنهم لن يكونوا قادرين على مواجهة المستقبل. يقدّم لنا المسيح في عظته على الجبل، نصيحة للتخفيف من قلقنا، فيقول "لا تهتمّوا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه، يكفي اليوم شرّه" (متى ٦: ٣٤). ودعا الرسول بطرس أهل الكنيسة إلى إلقاء همومهم على الله لأنه يعتني بهم. قال، "ملقين كل همّكم عليه، لأنه هو يعتني بكم" (١بطرس ٥:٧).

نحن مدعوون في هذه الأيام الصعبة، لأن نواجه مستقبلنا يوما بيوم، لأن شرّ اليوم الحاضر يكفينا. والله بنعمته ورحمته يمنحنا نعمة وقوة كافية، للإستمرار في الحاضر. أما بالنسبة للغد، فإنّ الله سيمنحنا القوة والنعمة في حينه. قال أحدهم، "القلق الزائد، هو الفائدة التي يدفعها الذين يستدينون الاضطراب من المستقبل، قبل أن يحين موعد إستحقاق الفائدة". لهذا، لا يجب علينا أن نجلب قلق الغد الى اليوم، لئلاّ ننهار تحت ثقله. يؤكّد علماء النفس، أن الايمان بإله قدير في يده المستقبل، يساعد في تحرير الانسان من القلق الكثير، ويعطي معنى أعمق للحياة. في هذا الوضع الصعب الذي نعيشه في وطننا الجريح لبنان، نحن مدعوون لأن نبقى أقويا وأشدّاء متكّلين على الله. يجب أن نحاول بمعونة الله الإبقاء على قلقنا ضمن حدوده الطبيعية، فلا يتحوّل إلى قلق مرضي. نحن مدعوون لأن نبقى أشدّاء كيما نرفع صوتنا رفضا لهذا الواقع، ونطالب بالتغيير، ليكون لنا وطنا أفضل نتمتّع بربوعه.

القس سهيل سعود

لا يساوم الروح القدس على الحقيقة

بعد حلول الروح القدس على الكنيسة الأولى في يوم الخمسين، ومنح الله نعمة سماوية لأعضائها تمثّلت، بسيادة أجواء: الايمان والمحبة والشركة والفرح والوحدة والإلفة. يذكر البشير لوقا كاتب أعمال الرسل، "أنه لم يكن أحد يقول أن شيئًا من أمواله له، بل كان عندهم كل شيء مشتركًا ...لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت، كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل. وهكذا، كان يُوزّع على كل واحد، كما يكون له احتياج. وهكذا فعل شخص إسمه يوسف، إذ باع الحقل الذي له، وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل" (أعمال الرسل ٢: ٣٢-٣٧).

لكن وسط تلك الأجواء الفرحة والجميلة، يطالعنا البشير لوقا بقصة محبطة، صاعقة، مأساوية، عن عائلة مؤلفة، من الزوج حنانيا والزوجة سفّيرة، كان لديهما حقل. أراد الزوجان أن يقوما بما قام به يوسف قبلهما، بوضع ثمن الحقل عند أرجل الرسل. فاتفقا سرّا أن يحتفظا بجزء من الدراهم دون الإخبار عن كامل الحقيقة، وهكذا يقدّمان الجزء الآخر، معطيان الانطباع أنهما قدّما كامل مبلغ الحقل. لكن الروح القدس الذي لا يساوم على الحقيقة أوحى للرسول بطرس بما فعلاه، فواجههما بطرس قائلا: "يا حنانيا، لماذا ملأ الشيطان قلبك، لتكذب على الروح القدس وتختلس من ثمن الحقل؟...أنت لم تكذب على الناس، بل على الله". يذكر النص ما حدث لهما بعد أن وبّخهما بطرس، اذ يقول: "لما سمع حنانيا الكلام، وقع ومات" (أعمال الرسل ٥: ٤-٥). يعتقد مفسرون أنه عندما سمع الكلام الصاعق، مات بذبحة قلبية.

وهنا يتساءل مفسرّو الكتاب المقدس: أما كان ممكنا للروح القدس أن يكون أقل قسوة ويسامح حنانيا وسفيرة، طالما أنهما قدّما جزءا من ثمن الحقل، لا سيما أن الرسل لم يسنّوا قانونا ملزما قضى ببيع اعضاء الكنيسة أملاكهم؟ لم يكن حنانيا مضطرا على القيام بما قام به. قال له بطرس، "أليس وهو باق كان يبقى لك. ولما بيع، ألم يكن في سلطانك؟" (أعمال الرسل ٥: ٤). ربما، كان هناك عائلات في كنيسة الرسل، لم تكن تملك حقولاً لتبيعها وتقدم مالها. لكن ما فعله الرسل ببيع أملاكهم، كان خطوة ايمان عفوية، اشترك فيها من كان له القدرة على ذلك.

يفسّر بعض اللاهوتيين الأمر على أن المشكلة لم تكن في تقديم المال أو عدمه. لكنها كانت محاولة، من قبل عائلة حنانيا وسفيرا، ادخال روح سيئة ومسيئة الى الكنيسة، روح مساومة على الحقيقة، روح كبرياء واختلاس وكذب على الناس وعلى الله، وهذه أمور غريبة عن مفهوم الكنيسة والله. لهذا واجههما بطرس مباشرة بخطئهما، فسقطا على الأثر ميّتين. لو سمح الرسول بطرس بدخول تلك الروح السيئة والمسيئة الى الكنيسة، لكان ساهم بتسميم وتدمير أجواء الكنيسة. أجواء الايمان والمحبة والشركة والفرح والوحدة والإلفة.

صحيح أنّ ذلك الدرس القاسي، أوقع خوفًا عظيما على جميع الذين سمعوا بالقصة، لكنه في الوقت نفسه، ساهم في استمرار الكنيسة: بالشهادة الحسنة والنزاهة والامانة والاستقامة، لأن الكنيسة لن تكون مقنعة لأعضائها وللمجتمع، اذا ما سمحت بتسرّب الفساد والفاسدين اليها. إن ما حدث في أول كنيسة مسيحية تأسست في التاريخ، كان بمثابة تحذير لجميع المتخاذلين ضد محاربة الفساد، والمساومين على الحقيقة داخل الكنيسة وخارجها. للأسف، عادت ودخلت تلك الروح البغيضة: روح المساومة على الحقيقة، روح الكبرياء والمرآة والكذب، والاختلاس، الى حياة العديد من قادتنا إن كان في الكنيسة أو في الدولة. لكن يأتي هذا الدرس الصاعق، ليعلّمنا أن الروح القدس لا يساوم على الحقيقة. وهكذا على قادة كنائسنا وبلادنا أن يتعلّموا، من الروح القدس عدم المساومة على الحقيقة، لنبدأ ننعم بوطن أفضل لنا ولأولادنا.

القس سهيل سعود

"لأن ظلم لبنان يغطِّيك"
(حبقوق٢: ١٧)

اذ كنت أمرّ بسيارتي بجانب اهراءات المرفأ المشوّهة التي لا تزال تندلع فيها النيران بعد انهيار مجموعة منها، دون أن يقوم مسؤولونا بأي جهد لوقف استمرار الماساة، شعرت بالحسرة والألم على ما حدث للمدينة الحبيبة بيروت التي تدمّر نصفها، ولسكانها الذين خسروا أهلهم وأولادهم في انفجار ٤ آب المشؤوم. وبينما كنت أقرأ في الكتاب المقدس، إسترعى انتباهي آية نطق بها النبي حبقوق عدة قرون قبل الميلاد، فشعرت أنها تنطبق على ما حدث لشعبنا المتألّم ولسكان مدينتنا بيروت الجريحة بعد الانفجار اليهروشيمي، والمآسي الاقتصادية والمالية والاجتماعية والصحية والنفسية والروحية التي ألمّت بها من جرّاء الانهيارات المتلاحقة، وما رافقها ويرافقها من مشاهد الظلم والبكاء والقهر والذلّ، التي تُدمي القلوب وتدمع العيون وتهز الكيان.

ان الآية التي استرعت انتباهي، هي: "لأن ظلم لبنان يغطّيك...وظلم الأرض والمدينة وجميع الساكنين فيها" (حبقوق٢: ١٧). شعرت أن النبي حبقوق يتكلّم الينا في زمننا الحاضر. إن حجم الظلم والألم الذي وقع على اللبنانيين عامة، والبيروتيين خاصة لكبير جدًا. وقع هذا الظلم بسبب إستهتار وفساد الكثير من مسؤولينا، بل زعمائنا غير المسؤولين، وعدم أمانتهم في تدبير شؤون هذا الوطن الجبيب منذ سنين عديدة، الى أن تسبّبوا عن قصد أو غير قصد، بهذا الظلم لأهالينا وأولادنا. فالنبي حبقوق، الذي نطق بتلك الكلمات المعبّرة عن حالتنا، كان قد تألّم نفسه كثيرا للظلم الذي حلّ في وطنه وشعبه بسبب عدم أمانة وفساد قادة بلاده، مما أوقع غضب الله عليهم. انّ سياق كلمات حبقوق، كان زمن غزو ملك بابل نبوخذنصر لبلاده وتدمير أورشليم وهيكل سليمان المصنوع من خشب الأرز، وسبي الشعب اليهودي ونقلهم الى بابل، ونقل خشب أرز الهيكل الى بلاده. آمن حبقوق، أن الله يكره الظلم. يقول صاحب المزمور الحادي عشر، "الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيّه. عيناه تنظران. أجفانه تمتحن بني آدم. الرب يمتحن الصدّيق. أما الشرير ومحبّ الظلم، فتبغضه نفسه" (مزمور١١: ٤-٥). صلّى النبي حبقوق الى الله في وسط الظلم الذي وقع على بلاده ومدينته وشعبه، قائلاً "حتى متى يا رب أصرخ إليك من الظلم، وأنت لا تخلّص...عيناك أطهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر الى الجور" (حبقوق١: ٢و ١٣).

عندما بحثت عن معنى كلمات النبي حبقوق، في كتب التفاسير، والسياق التي وردت فيه كلمات، "لأن ظلم لبنان يغطِّيك" (حبقوق٢: ١٧)، وقعت على تفسيرين أعجباني: تفسير حرفي، وتفسير مجازي. في التفسير الحرفي، نطق حبقوق بهذه الكلمات، بعدما غزا ملك مملكة بابل نبوخذنصر وقادته، بلاد حبقوق وأورشليم التي هي بقرب لبنان. ويبدو أنه مرّ بلبنان وظلمه بقطع الكثير من أرزه الصلب والجميل وحرم شعبه والطيور والحيوانات من التمتّع به، ونقله الى مدينة بابل ليبنيّ ويزيّن فيها قصوره وقصور حاشيته. هذا الأمر حدث، بعد أن كان شجر الأرز يسكن مطمئنا، لم يأت من يقطع منه. يذكر النبي اشعياء عن أرز لبنان قائلا، "إستراحت. إطمأنت كل الأرض. هتفوا ترنمًا. حتى السرو يفرح عليك، وأرز لبنان قائلاً: منذ أضطجعت لم يصعد علينا قاطع" (إشعياء١٤: ٧-٨). لكن النبي حزقيال، تحدّث عن نسر عظيم مخيف يأتي الى لبنان ويظلمه ويعبث بأرزه ويأخذه للمتاجرة به. قال النبي حزقيال، "هكذا قال السيد الرب، نسر عظيم كبير الجناحين، طويل القوادم، واسع المناكب، ذو تهاويل، جاء الى لبنان وأخذ فرع الأرز. قصف رأس خراعيبه، وجاء به الى أرض كنعان وجعله في مدينة التجارة" (حزقيال١٧: ٣-٤). أما في التفسير المجازي لقول النبي حبقوق، "لأن ظلم لبنان يغطِّيك" (حبقوق٢: ١٧)، يرى مفسرون، انه في بعض السياقات، استخدمت كلمة "لبنان" للإشارة الى المدينة المقدسة أورشليم، والى هيكل سليمان الذي استخدم في بنائه الكثير من أرز لبنان. ربما نستطيع أن نرى هذا المعنى في قول كاتب سفر أخبار الأيام الثانية، "دعني أعبر وأرى الأرض الجيدة التي في عبر الأردن. هذا الجبل الجيّد ولبنان" (أخبار الأيام الثانية١٩: ٧).

إلا أنه في كلا التفسيرين، المجازي والحرفي، يوصل النبي حبقوق رسالة دينونة كبيرة على مسبّبي هذا الظلم الكبير، ان كان الظلم الذي سبّبه ملك بابل وقادته لأرز لبنان في الماضي في قطع أشجاره وسرقتها من أجل بناء قصورهم الفخمة على حساب وطننا، أو الظلم الذي سبّبه لشعبنا ومدينتنا الحبيبة بيروت في انفجار ٤ آب، حكامنا ومسؤولونا وزعماؤنا الفاسدين، الذين سرقوا أرزه وتاجروا به أجل مصالحهم الشخصية. الاّ أن النقطة الأساسية الذي يريد أن يوصلها النبي حبقوق من خلال قوله، "لأن ظلم لبنان يغطيك" (حبقوق٢: ١٧) هو نبوءة، مفادها أن هذا الظلم الذي أوقعوه على لبنان سوف يغطّيهم ويقع عليهم. أي أنّ الله سوف يحاسبهم على قدر كثرة الظلم الذي فعلوه بشعبهم ومدينتهم، اذ يقول الرسول بولس، "وأما الظالم، فسينال ما ظلم به وليس محاباة" (كولوسي٣: ١٥).

القس سهيل سعود